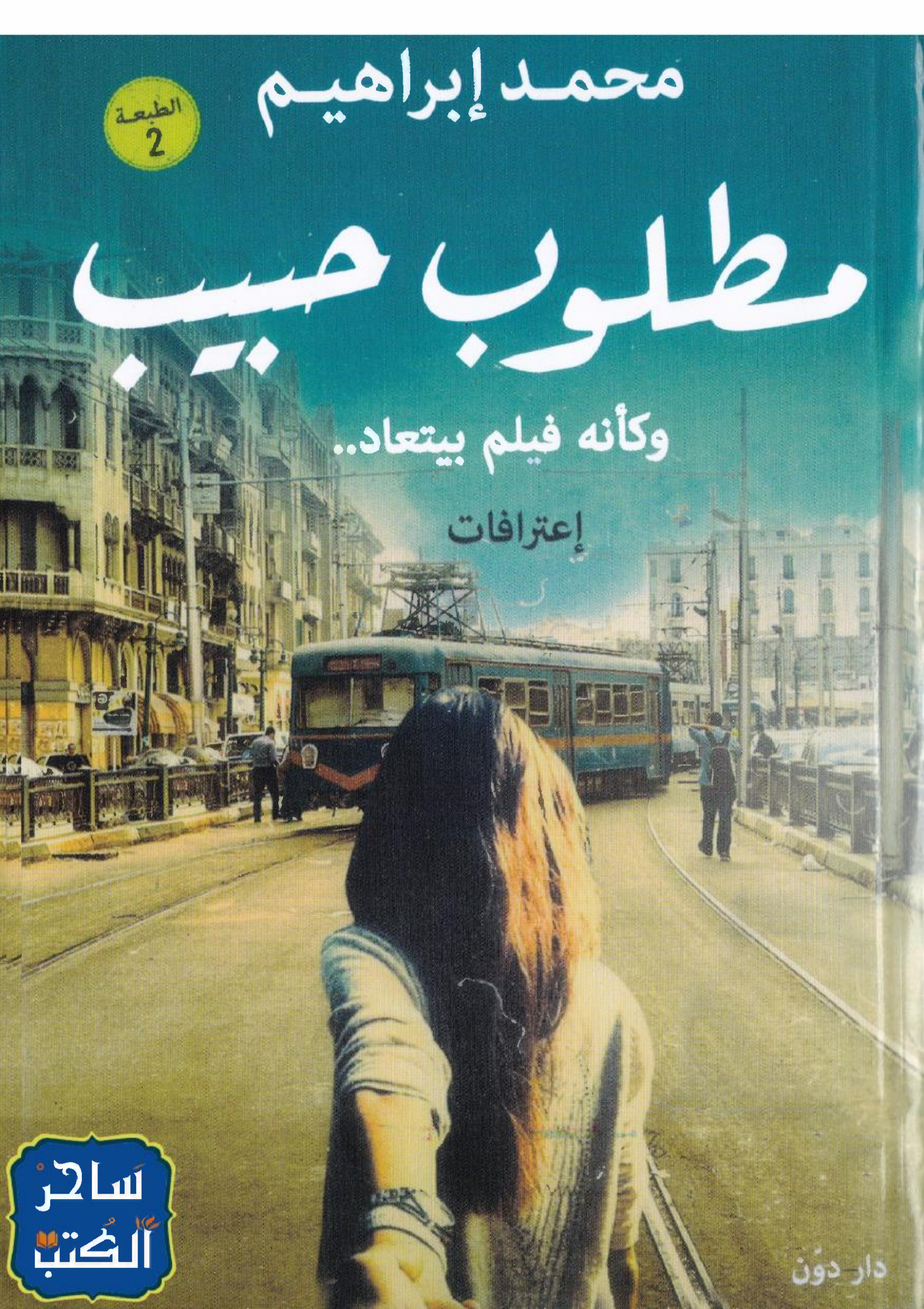


محمد إبراهيم
الطبعة
2
مطلوب حبيب
وكأنه فيلم بيتعاد..
إعترافات
ساحر الكتب
دار دوّن



مَطلُوب حَبِيب

الطبعة الأولى: سبتمبر 2016
الطبعة الثانية: 2016
رقم الإيداع: 2016/19947
الترقيم الدولي: 1-020-806-977-978
تصحيح لغوي وتنسيق داخلي: سارة صلاح
تصميم الغلاف: كريم آدم

تليفون: 01020220053
E-mail: info@dardawen.com
www.dardawen.com

محمد إبراهيم



(اعترافات)





إهداء

إهداء لكل اللي انتظر
واحد ماجاش
للوحدة والخوف والسفر
والإندهاش
والإحتياج والملل
والكبت والكراكيب
إهداء لعِلم الغيب
ولكل يوم اتعاش

إهداء لكل القلقانين
من غير لزوم
للهربانين بالنوم
والفضفضة والقلش
إهداء لكل اللي اتوجع وما قالش

تمهيد

لا أعـرف متـى وقعتُ في الحـب، لم يكـن قـراري، ضبطتُ نفسي متلبسًـا في منتصـف قصـة حـب، ولم أكـن أعـرف مـاذا عليّ أن أفعـل.. اليـوم حيـن أذكـر تلـك اللحظـات الأولى في كل شيء متعلـقٌ بتلـك العلاقـة، أسـتطيع أن أعـترف -وأنـا مرتـاح الضمـير- أني كنـت صغـيرًا وكـبرت لا أقصـد المعنـى المتعلِّـق بعـدد السـنوات بقـدر مـا أقصـد المعنـى المتعلِّـق بحكمـة التجربـة.

لازلـت ذلـك الشـاب الـذي ينتظـر من الدنيـا ومـن التجربـة، ومـن الخـبرة أكثـر ممـا رأى. لازلـت أتعلـم، وأحـاول أن أكـبر أكثـر، لكـن الحقيقـة الواضحـة لي جليًّـا أني «كنـتُ صغـيرًا وكـبرت» فعـلًا كـبرت، وكـبرت أحلامـي وتصـوراتي عـن الواقـع، وقُـدرتي على تحليـل الأمـور.. أهلكَتْـني تلـك العلاقـة بنفـس القـدر الـذي صنعنـي، لأول مـرَّة أدركـت معنـى الشـوق وحـرارة ملامسـة الأيـدي ولـذة تكـرار الـكلام فقـط مـن أجـل

لحظات إضافية من البقاء معها، الاشتياق الذي يقطع النَّفس، والوصل الذي يجعل الروح في مكانٍ والجسد في مكانٍ، والاثنان معها!

كنت أفكر فيها حتى يفاجئني النوم فتزورني في الأحلام حتى أستيقظ فتكون هي أول شيء يجول في خاطري.

«كنتُ صغيرًا وكبرت»

كبرت وأدركت أن العلاقة التي لا تجعل منك شخصًا أفضل، هي حتمًا علاقة تنهيك وتجعل منك شبحًا.. خيالًا لشخص أردت أن تكونه ولم تستطع.. كبرت وأدركت أن العلاقات تتغذى على الاهتمام والود والإحترام، وأن العلاقات التي تتغذى على اللَّوم بدلًا من الإهتمام، والمزايدة بدلًا من الود، والمكابرة بدلًا من الإحترام، هي حتمًا علاقات مدمِّرة لا توصل إلى طريق الونس ولا طريق الحب الصافي النقي.

«كنتُ صغيرًا وكبرت»

والإنسان كلما كبر أدرك أنه مازال صغيرًا ، أدرك أن الأمور التي يحتاج إليها أكثر ليست فقط الأمور التي تنقصه، ولكن أيضًا الأمور التي تجعله أقرب من نفسه التي أرادها، وأقرب إلى اتساقه مع نفسه ومع الكون ومع الفطرة التي خلقه الله عليها.

بالنسبة لشخص بسيط مثلي أراد أن يعيش الحياة على الهامش، فرزقه الله موهبة جمعت حوله الكثير من الأصدقاء والكثير من الونس؛ فكان أهم ما أدركته هو أن ما أريده هو «نفسي».. أن أكون «أنا» ولا أكون الذي يريدني الناس أن أكونه.

لا أريد أن أكون شاعرًا فيلسوفًا، أو شاعرًا مناضلًا، أو كاتبًا عميقًا، أو منظرًا ومفكرًا وعبقريًا.

لا أريد أن أكون خبيرًا في العلاقات، ولا أن أكون صاحب علاقة كلها خبرة، ولا أن أكون نبراسًا لأحدٍ يهتدي بي في طريقه، أو يتخذني مثالًا، لا أسعى لأن أكون نموذجًا.

لكني أسعى لأن أكون نفسي، أعبّر عن الأمور التي تشغلني بالطريقة التي أحبها وأجيدها بعيدًا عن التصنع والتكلف والمماطلة والتنظير.

«كنتُ صغيرًا وكبرت»

والحبيب عندما يكبر يرى الحب بطريقة مختلفة، يدرك أن الحب لا يتم تلخيصه في النظرات واللحظات التي تسبق نهاية المكالمة في هاتف بعيد، الحب ليس فقط لحظات الانتظار وهمسات الوداع وحنين المحبين وابتسامات اللقاء.

كبرت وفهمت أن الحب في التلاقي قبل اللقاء، في التضحية، في إنك تفوّت لها لحظات العصبية وتستحملك في أوقات الشدة.. الحب إنك تكون موجود من غير ما تطلب، وقبل ما تطلب، وكل ما تفكر إنها تطلب.. وإنها تفهم أوقات صمتك وهروبك ولحظات جنونك وشغفك وشرودك.. كبرت وفهمت إن الحب في إنك تسلِّم.. تسلِّم تمامًا وتسكن زَيّ ما ربنا قال «لتسكنوا إليها»

«كنتُ صغيرًا وكبرت»

كبرت لكن ماكبرتش أوي.. كبرت وأنا لسه بكتب العامية جنب الفصحى.. عارف إن الأفضل يكون الكتاب كله بالفصحى لكن حابب أعبَّر أكتر بالعامية، اتولدت ونشأت وكبرت في بلد بتتكلم بلهجة غير اللهجة الرسمية اللي بتتكتب في الكتب والتعليم.

اتعلمت بطريقة وعشت بطريقة..

مابقتش قادر أحدد هويتي أقرب لأي لهجة فيهم.. الإتنين بيمثلوني.. لهجة منهم أقرب لعقلي، ولهجة أقرب لقلبي ولطريقة حياتي.. عشان كده قررت أكمل الكتاب باللهجتين.

الحاجات اللي هكون قادر فيها أناقش فكرة بشكل أكبر أكيد هتكون مختلفة عن المشاعر اللي هتخرج بدون حدود وبشكل غير منتظم.. طوفان بيتحرك مع كل ذكرى وكل دقة قلب وكل موقف ساب أثر لآخر العمر.

«كنتُ صغيرًا وكبرت»

كبرت لكن فيه حاجات لسه ماعرفتهاش.

النهارده وأنا بكتب لأول مرَّة كتاب عن الحب بعد ٣ دواوين شعر، أقدر أقول إني لسه بتعلم، وإني هفضل أتعلم.

التجربة أو التجارب اللي عدت عليَّ مش كفاية إنها تخليني عندي حل أو نصيحة أو خبرة أشاركها الجميع.. لكنها على الأقل فيها وجع ممكن نتجنبه (وجع حقيقي مش مُحن زَيّ ما أغلب الناس بيوصموا أي كلام عن المشاعر وبيحولوه لتريقة ونكتة بدون احترام المشاعر اللي أدت للكلام ده وبدون ما يفرَّقوا بين الخيط الرفيع اللي بين المشاعر والإسفاف).

فيها حنين ممكن نحافظ عليه.. فيها أمل ينفع نستثمره.. فيها حب ينفع نعمِّمه، فيها فشل كسرني واتعلمت منه وعرفت أخرج منه وأشوف الدنيا بشكل مختلف، وده أهم حاجة حابب أشاركها الناس.. حابب أعترف.. حابب أصرخ.. حابب أتكلم ومسكتش.. أحيانًا بتكون عبقرية الخبرة في الفضفضة مش أكتر.

«كنتُ صغيرًا وكبرت»

كبرت واكتشفت إن حاجات كتير من اللي شكّلتني هي مواقف ومشاهد وكلام ومشاعر بدأت تشكلني من سن المراهقة ولحد النهارده.. ويمكن لأن الكتاب ده أكيد هيكون قريّب في التجربة من العُمر ده.. العُمر اللي لسه بيتشكّل وبيكبر وبيدرك الدنيا بشكلها الجديد.

العُمر اللي لسه قادر يندهش ويتفاجئ وعينيه تبرُق مع كل حاجة جديدة هتعدي عليه.. قبل الدنيا ما تطحنه ويتحول بفعل الزمن لشخص بليد مبيتأثرش بسهولة.

يمكن عشان كل ده أنا هحكي كتير نفس المواقف والمشاهد والحاجات اللي شكّلتني.. اللي خلّتني أندهش وعيني تبرُق وأفضل سهران بفكّر.

هحكي الحاجات دي زَيّ ما هي وهحاول أوصف الأثر اللي فِضِل فيَّ من كل حاجة فيهم.. أكيد في ناس ممكن تكون منتظره شيء مختلف، لكن حقيقي أنا حابب أشارك الحاجات دي تحديدًا قبل أي شيء تاني.. وواثق إن فيه على الأقل حاجة واحدة منهم ممكن تدهشكم نفس الدهشة ونفسة تبريقة العين.

«كنتُ صغيرًا وكبرت»

كبرت وأدركت حاجة مهمة جدًّا، إن لو كل اللي عدّى عليّ في حياتي كان ملخّص لمجموعة أمور صنعتني.. فالحاجات الأولى دايمًا كان ليها النصيب الأكبر في حياتي.. أول كلمة «بحبك» أكيد خدت مني ومنحتني أكتر بكتير من أي مرّة قولت فيها الكلمة دي بعد كده.

أول ضحكة من القلب.. أول لمسة.. أول مرّة صليت.. أول مرّة قُلت « لا إله إلا الله » وأنا فاهم معناها ومؤمن بيها.

أول مرّة دخلت فيها سينما.. أول مرّة شربت فيها سيجارة.. أول مرّة كحيت كتير بعد السيجارة وأول مرّة حسيت أدّ إيه كنت بضر وبأذي نفسي طول الفترة دي.

أول مرّة وقفت فيها قدام حد بيمثل حاجة كبيرة في حياتي وأنا ضده في كل حاجة.. وأول مرّة خسرت فيها حد غالي عليّ.

أول مرّة فقدت الثقة في حد قريّب منّي.. وأول مرّة عيني دمّعت بجد وماكنتش عارف أنا المفروض أعمل ايه.

لو كل اللي الحاجات الأولى في حياتي كانت صاحبة النصيب الأكبر في تشكيلي حاليًا.. فأقدر أقول إن الحاجات الأخيرة كانت أهم بكتير؛ لأنها لو ماكانتش شكلتني بنفس

القـدر لكنهـا علمتنـي بشـكل أكـبر.. دلوقتـي أقـدر أقـول إن كلمـة «بحبـك» الأخـيرة كانـت أكثـر وعيًـا وإدراكًـا واسـتعدادًا لحيـاة مختلفـة وأكثـر حرصًـا عـلى البقـاء.

وإنـه لـو كانـت لحظـات التشـكيل الأولى كانـت بتاخـد مـن علاقتـي بربنـا في حيـاتي.. فأقـدر أقـول إن اللحظـات التانيـة أو الأخـيرة كلهـا إيـمان لأنهـا بتخلينـي شـايف ربنـا علّمنـي إيـه ووصّلنـي لفـين، والأكيـد إن مفيـش لحظـة أخـيرة، طـول مـا فيـه حيـاة لأننـا هنفضـل نتعلـم.

فلـو فيـه حاجـة مهمـة عـاوز أختـم بيهـا مقدمـة الكتـاب في هتكـون نفـس الجملـة اللي رددتهـا أكـتر مـن مـرّة، عشـان أقولهـا بطريقـة أصـح:

«كنت صغيّر وبكبر».

محمد إبراهيم



«أكبر تنازل تقدمه في حياتك هو أن تتأقلم »

محمود درويش

الحُبّ قبل الخبز أحيانًا

«جوني كاش» واحد من أشهر مغني أغاني الريف في القرن الأخير.. عاش حياة درامية تليق فعلًا بشخصية من أكتر الشخصيات تأثيرًا في الوسط الموسيقي.

الدراما الحزينة دخلت حياة «جوني كاش» بدري جدًّا.. جوني كان ليه أخ أكبر منه بسنتين توفى بسبب حادث أليم جدًّا في سن صغير.. وصاحب جوني إحساس ملازم بالذنب والنبذ من اللي حواليه من بداية طفولته.

أثناء خدمة «جوني» في السلاح الجوي فترة التجنيد كوّن فرقته الأولى «برابرة لاندسبيرج».. وبعد نهاية خدمته في

التجنيد كانت الخطوة الطبيعية لشخص كان ما زال في عيون كل الناس طبيعي هي الجواز.

بعد شهر فقط من انتهاء الخدمة hرتبط الأسطورة «جوني كاش» بـ «فيفيان ليبرتو» .. وبعد فترة تبادُل رسائل أثناء الجيش لحوالي ٣ سنين.. وبرغم إن مظهر العلاقة الخارجي كان مبشّر إلا إن التوتر اللي ظهر في بداية العلاقة.. ووجود حاجز طول الوقت ما بينهم كان من أهم أسبابه جولاته الموسيقية الكتير وإدمانه للكحوليات وعلاقاته النسائية، تم الانفصال.

وطلبت «فيفيان» الطلاق بعد ١٢ سنة جواز وأربع أطفال.

***

بنسمع كتير أوي جملة «سُنة الحياة»

السُّنة في معناها اللغوي في أصول اللغات يعني الطريقة سواء حسنة أو سيئة، والسُّنة برضو معناها بيكون السيرة سواء كانت حميدة أو ذميمة.. ولما نقول سُنّة عن النبي ﷺ فإحنا هنا بنتكلم عن طريقته اللي كان يعيشها.

ولما حد يتكلم بقلب جامد وثقة كبيرة ويقول «سُنّة الحياة» فهو هنا بيتكلم عن طريقة الحياة كلها.. منهجها

وأسلوبها.. ولما يجمّد قلبه أكتر ويقول «الجواز سنة الحياة»
فهو هنا لخَّص الطريقة والسيرة الحياتية للبني آدم بالكامل في
علاقة إنسانية ممكن تستمر وتنجح.. وممكن تستمر وتفشل..
وممكن تنتهي كنوع من النجاح للطرفين أو فشلهم.. كل
علاقة وليها أركانها وقصتها المستقلة.

وإذا اتكلمنا عن العلاقة من غير ما نتكلم عن الحب
فكأننا بنتكلم عن عنوان الموضوع من غير ما نتكلم عن
الموضوع نفسه.. الحب.

المتاهة اللي كلنا غصب عننا في وقت ما لازم بنلفّ فيها..
السباق اللي مابيتنهيش.. الشغف اللي بيخلي لكل حاجة
طَعم.. واللي ممكن يضيّع طعم كل حاجة حلوة.

سيدنا آدم عليه السلام اتخلق وحيد، ولأن الحياة مشاركة،
كان طبيعي ربنا يخلق له شريك.. والشريك كان منُّه هو..
من ضلعه.. وعشان يكملوا سوا مشوار الحياة.. اللي بدأ في
الجنة وانتهى على الأرض.

السؤال هنا: آدم حَبّ حوا فعلًا لأنها تتحب.. ولا لأن
مفيش غيرها؟!

كان فيه جملة انتشرت على السوشيال ميديا فترة طويلة
بتقول:

«إوعى ماتلاقيش اللي تحبه.. فتحب اللي تلاقيه»

وكأنها بتردّ على جمله أزلية اتكررت على لسان ناس كتير وهي جملة:

«خد اللي يحبك مش اللي تحبه»

جملة عادية جدًّا بتتردد في قعدات النصائح العائلية أو جلسات الأصدقاء اللي غرضها الطمأنة والتهدئة، لكن بدون وعي كافي بالحياة، ودون أي خبرة في العلاقات والإرتباط والجواز ومسؤولياته، ومعنى كلمة «شريك حياة» وقدسيتها.

ويظل السؤال الأزلي هنا: طب وهو أنا أقدر أختار؟!

هل للقلب سلطه في إنه ياخد قرار ناحية شخص ما.. ولّا هي حاجة بتيجي كده خبط لزق من غير ميعاد.

لو القلب ليه سُلطة الاختيار.. ماكانش بقى فيه ناس كتير لحد دلوقتي مضيّعة حياتها صف تاني في حياة الناس اللي بيحبوهم.

***

قبل فترة طلاق الأسطورة «جوني كاش» من زوجته.. كان اتعرف على حُب حياته واللي القدر والنصيب ما جمعهمش مع بعض كزوج وزوجة غير بعد ١٣ سنة من مقابلتهم للمرة الأولى.

قابل «جوني كاش» حبيبته «جون كارتر» واللي كانت مغنية ناجحة لنفس نوعية الأغاني اللي كان بيقدمها «جوني».. وكانت بتجمعهم دايمًا حفلات وجولات غنائية مشتركة كتيرة.

فضل متعلق بيها السنين ومصرّ إنه يكمّل حياته معاها واستمر رفضها ليه رغم طلاقه من زوجته إلا إن مُشكلة طباعه وإدمانه الكحوليات والمخدرات كانت سبب واضح لرفضها الشخصه رغم إيمانها بحبه ليها.. وكانت أزمة «جون كارتر» سبب كبير برضو في إقباله على الشرب والمخدرات بشكل أكبر لدرجة إنه دخل السجن في فترة ما من حياته.

فضِل «جوني» بيطاردها من أول مرَّة قابلها فيها ولمدة ١٣ سنة كاملة ولحد الواقعة المشهورة في الحفلة المشتركة اللي جمعت مابينهم سنة ١٩٦٨.

***

حكايات الحب من طرف واحد.. «المأساة» كما يجب أن تكون.. أنت مش بتختار.. لكن قلبك بيروح وكأن فيه نداهة بتناديه لمصير محتوم.

العقل هنا لو تدخل في الموضوع.. العلاقة بتكون عبارة عن صفقة.. كأنك بالظبط قاعد بتدوَّر على صفات معينة

فـي شـخص معـين علشـان تتناسـب مـع عيوبـك .. فيبقـى في تفاهـم .. فتبقـى فيـه علاقـة مبنيـة عـلى احـترام متبـادل ومجـرد تعـود.. مش حـب حقيقـي.. «حـب بالمنطـق».. لقيـت نفسـك مرتـاح في العلاقـة دي فـ تأقلمـت.

«أكبر تنازل تقدمه في حياتك هو أن تتأقلم».

محمود درويش

تعـرف منين إنك بتحـب بجد.. ولا اتعـودت عـلى وجـود الشـخص ده في حياتـك؟!

الكاتب أحمد العايدي حسم الموضوع ده لما قال:

.«غربل حبايبك بالغياب»

لمـا بتبعـد عـن حـد فـترة معينـة بتعـرف حجـم تأثـيره في حياتـك عامـل ازاي.. لـو اشـتاقت تبقـى بتحـب.. لـو اتشـغلت تبقـى متعـود عـلى وجـوده مش أكـتر.

الحب يشبه سهم..

صابك وسابك تحتضر بهدوء

الحب لو مقتلش بيفوّق

وانت ونصيبك بقى

يا هتتقل.. يا تفوق

طب هو احنا ليه دايمًا في رحلة سعي عن الحب؟!.. ليه دايمًا عندنا إحساس إننا محتاجين «نِكمل».. فينا إيه ناقص؟

في خلاف واختلاف حصل بين مفسرين حوالين الجنة اللي هبط منها «آدم وحواء« للأرض.. وهل كانت هي جنة الخُلد» وده على الأرجح - أم إنها كانت مكان على الأرض.

الحقيقة إن العبرة كانت مش مكان الجنة اللي هبطوا منها أد ما كانت العِبرة في خلق الله حواء لآدم.. وتعميرهم للأرض بوجودهم سوا فيها.. القصة الأولى في حياة أول الخلق كانت وجود حواء.. كانت الاكتمال بوجودها وتنفيذه لقول ربنا سبحانه وتعالى للملائكة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)[1]

وهنا السؤالي التاني هيجبرنا نسأله لنفسنا: الوحدة الاختيارية أفضل أم قصة نهايتها فراق معروف ومؤكَّد؟

الحياة كمجمل محتاجة إنسان شجاع.. والشجاعة مش بس في المواقف المخيفة.. العلاقات نفسها محتاجة إنسان شجاع.

شجاع يقدر يكون أدّ مسؤولية العلاقة والارتباط والطرف التاني.

١- سورة البقرة، الآية ٣٠.

شجاع يقدر يحدد نجاح العلاقة من فشلها في توقيت مايكونش استزفه أو استنزف الاتنين نفسيًا.

شجاع يقدر ينهي العلاقة في الوقت اللي عقله وقلبه أجمعوا على ده.. وأنانيته بقت هي الشيء الوحيد اللي بيدفعه دفع لإكمال علاقة ميتة.

إنك تختار حكاية سهلة ومضمونة من الأول ده شيء مش مضمون.. ومحدش يقدر يمضيلك فيه على بياض.. كل حكاية زيّ ما قلنا قبل كده وليها أركانها وتفاصيلها المستقلة.. لكن اختيارك الأساسي واللي بيأثّر عليك وعلى اللي معاك.. هو الاستمرارية في العلاقة.

بمعنى إنك مش سهل تتجنب الحدوتة اللي مش هتكمل.. لكن سهل تنهيها في أقرب فرصة.. بدل ما تصمم تبقى بطلها.. ماتتخيلش السراب وتفضل تجري وراه.

هتستهلك نفسك وهتكسر نفسك بحد ملوش ذنب إنه ماقدِرش يحبك.. زَي ما أنت ماكانش ليك ذنب وحبيته.

قبل ما تدوَّر على حد تحبه بُص لنفسك الأول.. هتعرف إنك أوْلَى الناس بقلبك.. وإنك لازم تحب نفسك قبل ما تدوَّر على حد تحبه.. لازم تهتم بيك.. وتصاحبك.. وتعرف تعيش لوحدك من غير حوا.. لحد ما ربنا يبعتها لك..

عشان لو دوَّرت عليها ممكن جدًّا تختار غلط وتستهلك مشاعرك في حواديت نهايتها معروفة.

سنة ١٩٦٨ وفي الحفلة الغنائية المشتركة للثنائي المشهور «جوني كاش» و «جون كارتر» وعلى المسرح في مدينة تورونتو في كندا.. جوني كاش اتقدم رسميًّا لجون كارتر.

جوني ما طلبش إنهم يتصاحبوا ويرجعوا يدخلوا في علاقة.. ما طلبش إنها تسامحه أو تقف جنبه لحد ما يتخطى موضوع إدمانه وعلاقاته ومزاجه السيء.

طلب منها تتجوزه.. ووافقت.. طلبه كان متضمن كل الوعود الممكنة لشخص بيحاول يبقى إنسان أفضل.. فيه ناس كتير ممكن تشوف في حياة «جوني كاش « إنه كان إنسان سيء وإنسان أناني.

هو فعلًا ممكن رأيهم سليم.. ممكن يكون فضِل كده كمان ونجح إنه يداري ده لحد ما مات بعد ما عاش مع حبيبته وزوجته «جون كارتر» ٣٥ سنة اتغير فيها تمامًا وتخلَّص من إدمانه وحقق نجاحات جعلت منه أسطورة حقيقية في عالم الموسيقى والفن.

لكن اللي أكيد في القصة دي إنه سعى كإنسان عادي شاف اكتماله وحياته في وجود شخص معين هو «جون كارتر»..

شـاف فيهـا حـواء.. وبفضلهـا انتـصر عـلى كل حاجـة تانيـة كانـت ممكـن تحوّلـه لمجـرم حقيقـي مـش مجـرد شـخص مدمـن كحوليـات ومغنـي شِـبه مشـهور.

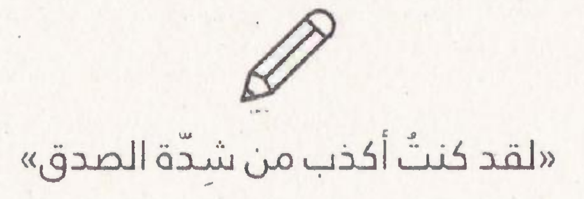
جـون كارتـر ماتـت.. وبعدهـا بأربـع شـهور بـس مـات جـوني كاش.. بعـد علاقـة زواج ناجحـة لمـدة ٣٥ سـنة.. بـدأت بحيـاة مليئـة بالفشـل.. ورقـم ٣٥ ده رقـم أسـطوري ونـادر في العلاقـات الغربيـة الـلي غالبًـا بتنتهـي بالانفصـال.. وفي خطـاب مـن أكـتر الخطابـات الغراميـة تأثـيرًا وأكترهـا شـهرة كتـب جـوني لزوجتـه وحبيبتـه في عيـد ميلادهـا الـ ٦٥ يقولهـا:

«كل عام وأنتِ بخير يا أميرتي، كبرنا سويًا واعتدنا على صحبة بعضنا البعض. نفكر بشكل متماثل. ونقرأ أفكار بعضنا. يعرف كلٌ منّا ما يحتاجه الآخر دون السؤال.. نغضب من بعضنا أحيانًا. ولكنني عندما أفكر في الأمر، أجدني محظوظًا لمشاركة حياتي مع أعظم امرأة قابلتها مطلقًا.

مازلتِ مبهرة وملهمة.. مازلتِ مؤثرة بالنسبة لي.. أنت غاية رغبتي وأنتِ السبب الأرضي الأول لوجودي.. أحبكِ جدًا.

كل عام وأنتِ بخير أيتها الأميرة».

***



«لقد كنتُ أكذب من شِدّة الصدق»

نزار قباني



كُلنا كاذبون يا صديقي

مبدئيًّا كده.. اعتبر الكتاب ده واحد رِكِب جنبك قطر القاهرة - إسكندرية .. وقعَد يدردش معاك بكلام في الوقت اللي أنت كنت ناوي تنام فيه شوية عشان تختصر زمن الطريق على نفسك.

السفر ده أصله موهبة.. زَيّه زَيّ التمثيل والرسم والشّعر.. كنت دايمًا أقول لأصحابي:

- مش أي حد يسافر، ومش أي حد يستمتع بالسفر.

الرحلة من مكان لمكان أصلًا في حد ذاتها متعة مش أي حد يعرف يستغلها أو يستمتع بيها.

مش أي حد يقدر يستمتع بالسفر وبالطريق، يعني مثلًا في ناس ممكن تقضي الطريق بتتكلم عالموبايل، أو قاعد بتقلب عالـ «facebook».. رغم إنك دايمًا كنت تسمع الناس بتقول جملة مشهورة قوي وهي:

«في السفر سبع فوائد».

لكن هل فعلًا سألت نفسك في يوم من الأيام إيه هي فوائد السفر السبع دول؟؟ فكرت ولو على سبيل الفضول مثلًا؟؟

الحقيقة إن أشهر حد اتكلم عن فوائد السفر كان الإمام الشافعي -رحمه الله- لما قال في أبيات من شعره:

تغرب عن الأوطان في طلب العُلا   وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج همّ واكتساب معيشة   وعِلم وآداب وصحبة ماجد.

الإمام الشافعي طبعًا ذكر إن السفر فيه خمس فوائد مش سبعة زي ما احنا بحكي.. شاف في السفر تفريغ للهم والكرب، وشاف فيه منفعة اكتساب الرزق مع السعي ليه.. شاف فايدة العِلم والمعرفة والآداب.. وشاف حاجة أخيرة وهي من وجهة نظري أغلاهم وهي اكتساب الصحبة.

وأنا دلوقتي هقترح عليك أدردش معاك شوية في رحلتنا دي، وأول حاجة حابب أتكلم معاك فيها هي حاجة كلنا

بنعملها وعايشة معانا يوميًا.. وهي موضوع الكذب.

«لقد كنت أكذب من شدة الصدق»

جملة في قصيدة اسمها «وعدتُك» لنزار قباني.. استغربت أوي وقت ما عيني وقعت عليها أول مرَّة.. إزاي ممكن واحد يكدب من شدة الصدق؟!..

إزاي ممكن واحد يوعد واحدة إنه مش راجع ويرجع.. إنه مش هيتصل ويتصل.. إنه مش هيفكر فيه.. ويفكر؟؟

إزاي واحد قِدِر يكره من كتر الحب.. ويكدب من كتر الصدق؟!

إزاي وصِل للدرجة دي من التطرف في المشاعر.. اللي هو أنا بكرهك أوي.. بس فعلًا بحبك أكتر من أي حاجة.. مش عايز أعرفك تاني.. بس برضو مش عايز أسيبك..!

ماهو التطرف زَيّ ما هو موجود في الدين وفي السياسة.. برضو التطرف ده موجود في المشاعر.. ويمكن يكون مؤذي أكتر من أي تطرف تاني.

السؤال دلوقتي: ممكن يكون حصل إيه لكل ده؟!..

تخيَّل نفسك بتحب حد.. حُب عادي.. بتحبه زي ما بيحبك.. علاقة مستقرة.. فيها اهتمام واحترام متبادل.. فيها مفاجآت حلوة.. وأيام جميلة.. وصور مليانة ضحك من القلب.. وبالتدريج كل ده بيقل.. بيقل أكتر.. بيقل لحد لما يختفي ويتلاشى تمامًا.

الحب راح.. لكنه راح من طرف واحد فقط.. وفضل الطرف التاني محتفظ بمشاعره.. بيحاول طول الوقت يعيد كل الذكريات الحلوة دي تاني.. بس للأسف مابيقدرش.

الشغف انتهى.. فترة الانبهار عدت.. السُّكَّر اللي في اللبانة خلص.. فبقينا بنمضغها «روتين».. بتلاقي نفسك في الآخر كرهت نفسك، وكرهت اللي بتحبه؛ لأنه عوِّدك على جرعة معينة من السعادة لفترة مش قليلة.. وفجأة!! مابقاش عنده حاجة يديهالك.

وقتها مابيبقاش قدامك غير حاجة من الإتنين؛ يا بتتمنى ترجعوا زَي ما كنتوا.. والحياة تستمر كده للأبد، يا بتتمنى ترجع لحياتك اللي كنت عايشها قبله.. وماتقابلوش ولا تعرفه وتمسحه من حياتك تمامًا.. بس للأسف لا ده بيحصل ولا ده بيحصل.

بتلاقي نفسك في النهاية في «نُص السِّكة».. ودي أخطر مرحلة ممكن توصلَّها.. لأنها مرحلة من الاحتياج اللانهائي.. لا بيتم إشباعة ولا بيتم القضاء عليه.

الاحتياج بيخلي قلبك «ريشه في هوا».. أي حد هيطبطب عليك في الوقت ده هتحس إنك بتحبه.. وإنه سفينة نجاتك.. وقتها ممكن ترضى بأقل حاجة وبأي حد يعوّضك عن جرعة السعادة اللي فقدتها فجأة.. وبتبقى موجة راديو حرة ممكن أي حد يستغلها ويستخدمها عشان «يذيع» فيها اللي هوا عاوزه سواء كان جيد أو رديء.

بتبقى غرقان تمامًا مش فاضل منك غير يا دوب جزء بسيط بتتنفس منه.. لا أنت غرقت ومتّ ولا أنت حُر الحركة تقدر تتحرك زَيّ ما كنت زمان.. وساعتها مافيش قدامك غير حَلّ واحد بس.. إنك تعوم.. مهما عدت حواليك سفن إنقاذ.. لازم أنت اللي تخرج من البحر بنفسك.. حول حياتك من مجموعة من الأشخاص.. لمجموعات من الأشياء.

اهتم بنفسك كإنك أنت حبيبك.. اخرج في اماكن بتحبها.. مع نفسك أو مع ناس بيحبوك.. اتمشى كتير.. في حاجات مش هتعرفها عن نفسك إلا لما تقعد مع نفسك وتتمشى مع نفسك من غير ما حد يشاركك فيها لفترة.

اقرأ كل الكتب اللي جبتها وكان نِفسَك تقرأها لكن أخدت مكانها على الرف جنب كتب تانية قرأتها وحبيتها.

شوف أفلام كتير واتعرف على أكتر من حياة وأكتر من خبرة وعلاقة.. الأفلام اختزال رائع في منتهى الذكاء لأخطاء مش مضطرين نغلطها تاني ما دمنا شفناها قدامنا.

لو عندك هوايه ده بيكون أفضل وقت تطلع فيه إبداعك.. ده تقريبا أكتر وقت روحك فيه نقية وشفافة ومستعدة تترجم أبسط المشاعر لأجمل التعبيرات.

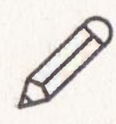
لو بتدرس.. ركز أكتر في دراستك وتعامل بذكاء مع المرحلة كمرحلة مش كـ درايرة زمن أبدية مش هتخلص زَيّ ما كلنا بنغلط ونعمل كده كتير.

لو بتشتغل.. ودي أكتر نعمة ممكن تكون عندك في المرحلة دي.. يبقى مهم جداً تدرك قيمة الشغل بتاعك.. وقيمتك أنت في الشغل ده.. اهتم بشغلك أكتر وخليك مبدع فيه مش مجرد مؤدي.. الدنيا بتلهي.. بس أنت اديها الفرصة إنها تلهيك.. وخلي الإلهاء ده حقيقي وله وقع على الأرض يقدر يرسم على وشك ابتسامة مكان تكشيرة حشرت نفسها في حياتك لمجرد إن كان في حاجة حلوة.. وخلصت.

الوقت..

لو تعاملت بذكاء مع الوقت.. هيخليك تنسى أي حاجة وتتجاوز أي محنة، وماتضطرش إنك تكذب على نفسك أو على حد.

***



«لا تقــدِّم أبــدًا شروحًــا لأحــدٍ.. أصدقــاؤك الحقيقيــون ليســوا في حاجــة إليهــا، وأعــداؤك لــن يصدقوهــا»

أحلام مستغانمي

نعمة الفُرصَة..
ورِزق النسيان

تعريف النسيان من الناحية العلمية البحتة، هو: عدم تذكُّر المعلومات والمهارات والخبرات التي مرَّ بها الفرد، والنسيان ظاهرة طبيعية تحدث لجميع البشر، ولكنه قد يكون مرضيًا عند الإصابة ببعض الأمراض مثل الزهايمر، أو عقب إصابة دماغية أو صدمة انفعالية.

ده ممكن يكون النسيان اللي في الكتب، أو البرواز العلمي للكلمة، إنما في العلاقات الإنسانية بشكل خاص وفي الحياة عمومًا الوضع بيبقى مختلف تمامًا.

النسيان ده عامل زَي «العيّل الصغيّر».. اللي طول ما أنت بتجري وراه طول ما هو بيجري منك، وكأنك مع عقلك الباطن في صراع «عند» مستمر، علاقة «سيب وأنا أسيب» من الدرجة الأولى.

الحقيقة إن إحنا أوقات كتير جدًّا مابننساش غير الحاجات اللي ماينفعش تتنسي.

الحاجات الموجودة قدامنا باستمرار.. بنبتدي نتعود على وجودها لحد ما نبطل نحس بيها.. وبالتالي بنفقدها بالتدريج.. تخيل إنك بتفقد الشيء طول ما هو معاك.. وبتستردّه بعد ما بتكون فقدته فعلًا.

كنا بناخد في المدرسة زمان «كراسة خط».. كان بيبقى مكتوب فيها جُمل بنكتبها مرَّة بالرقعة، ومرَّة بالنسخ.. أفتكر جملة منهم كانت بتقول:

« الصحة تاج على رؤوس الأصحاء.. لا يراهُ إلا المرضى»

تخيل إن الوحيد اللي شايف الحاجة.. هو الوحيد اللي بعيد عنها!! فكل ما همَّ بيبعدوا، كل ما بياخدوا مساحة مننا، ومن تفكيرنا، ومن حياتنا بشكل عام.. وكأن بعدنا عنهم كان عبارة عن «فخ» قربنا منهم أكتر.

في فيلم عن العشق والهوى كان فيه مشهد عبقري سلمى بتحكي فيه وبتقول:

- وأنا في ثانوي حبيت واحد صاحب أبويا أوي، كان متجوز ومخلف، ماحدش كان يعرف غير بنتين صاحباتي، وفضلت العلاقة بينا ست سنين في السر، ماكانش يقدر يقدملي أي حاجة غير إنه يحبني أوي.. طبعًا بابا لو كان عرف كان راح فيها.. وأمي كانت اتشلت واخواتي اتشردوا.. ده غير عيلته بقى.. فكان لازم أسيبه.. وسبته!! وظهر عصام.. كان صاحب أخويا.. حبني واتقدملي، كان ساعتها متهيألي إني مش ممكن أحب حد تاني أبدًا، كان زيد زي عبيد، زي نطاط الحيط.. فوافقت .

عُمر: بس ماقدرتيش تنسي صاحب باباكي!

سلمى: لا نسيته.. دلوقتي مابفكرش فيه خالص.

عُمر: عصام قدر ينسيهولك ويخليكي تحبيه؟!

سلمى: مش عصام!.. الوقت!!

أهو الوقت ده علاج كل أمراض مشاعرنا المزمنة، علاج الحنين اللي ما بينتهيش، والصدمات، والعلاقات اللي بتخلص قبل ما تبتدي، وعلاج وحيد للنهايات المفاجئة، والضغوط اللي بنتحط فيها.

إحنا أصلًا عبارة عن مَيَّه.. أزماتنا النفسية عبارة عن «ملح».. الوقت هو المعلقة اللي بتخلي ده يدوب في ده.. فـ نتأقلم.. طعمنا بيتغير.. بس شكلنا من برة بيفضل زَي

ما هو تقريبًا!.. مش هيبان أي تغيير.. غير لو حد «جرب يشرب».. أو بمعنى أصح، حد اقتحمنا، وعمَل زووم على كل الأوجاع اللي الوقت خبَّاها.

وترجع الحقيقة العلمية اللي تفسر الموضوع كله بشكل بسيط وعبقري في نفس الوقت، وهي إنك عشان تفصل الميَّه تاني عن الملح، محتاج تحط الاتنين بعد ما معلقة الوقت دوّبت كل حاجة على النار؛ فتبدأ الميَّه تتبخر.. ويترسب الملح تاني في النهاية

قرار معلقة الوقت هو في النهاية قرارك.. وقرار النار برضو في النهاية قرارك.. بالطبع زي ما كان البطل Tom في فيلم 500days of summer يقول:

إنهم يكذبون.. لا أرغب في نسيانها.. أود استعادتها.

ويفضل السؤال: هو النسيان بالوقت قرار فعلًا ولا حاجة بتيجي كده.

الحقيقة إني اكتشفت إن الموضوع خليط مركب من الإتنين.

الوقت «علاج».. بس تفتكر أنت ممكن تخف لو مابتاخدش الدوا؟ أو أخدته بس ما انتظمتش فيه؟ وفضلت تفتح الباب للوقت يوم وتقفله عشرة وما انتظمتش في روشتة الوقت.

هو مش عايز ينساها!!.. هو قرر إنه مايا خدش الدوا.. فمستحيل يخف.. لازم تساعد الوقت، وتسمح له إنه يقتحمك عشان الوقت يقدر يساعدك، لازم تبقى مقتنع إن الحدوتة خلصت هنا!.. خلاص.

سلمى في (عن العشق والهوى) استسلمت للأمر الواقع، عشان كده قدرت تتخطاه وتكمل حياتها من غيره.

إنما Tom.. كان مقتنع من كل قلبه وعقله إنها «The one».. وإنه لازم يستعيدها لأنه مش مقتنع إنه خسرها.. لسه عنده استعداد يراهن عليها.

وعشان كده عمره ما هينساها!

ومع الوقت والنسيان بتكتشف الحقيقة الثابتة في الموضوع كله واللي أدركها كل من تخطى موضوع النسيان بالوقت، والحقيقة الثابتة دي بتقول:

إحنا مش بننساهم.. إحنا بس بنتعود نعيش من غيرهم.. بيبقوا مجرد ناس عادية.. ناس مابقاش ليها أي تأثير.. نجوم كانت بتلمع زمان وبنحلم نطولها ونمسكها بس دلوقتي انطفت.

ذاكرة الإنسان مش زَي memory card.. ينفع تعمل نسخ وحذف وقت ما بتحب.. الحاجة اللي بتعدي عليك وتعيشها بصِدق بكل مشاعرك خلاص.. أصبحت جزء من تكوينك وهاتفضل معاك لحد ما كل شيء حواليك ينتهي.. ولحد ما أنت نَفْسَك تنتهي.

لكن فيه فرق كبير أوي بين إنك تفضل عايش أسير الحاجة دي طول عمرك، وبين إنك تحوّلها لحاجة عادية من ضمن حاجات كتير أوي عدت عليك في حياتك وانتهت.

في غنوة حلوة أوي كتبها الشاعر أحمد أبو ذكري لمحمد منير اسمها: «الفرصة بنت جميلة».

الحقيقة إني كنت بسمع الأغنية زَي أي حد لوقت طويل، لحد ما ابتديت أكتشف مع الوقت إن الحياة فُرَص، وإن الفرصة فعلا زَي البنت الجميلة.. محتاجه لعقل، ولحرفنة، محتاجة واحد فاهم ومجرّب الحياة كويس أوي، واحد بيتعامل مع الحياة بمتنهى الـ Business وفي نفس الوقت بمنتهى التصوف.

واحد شايف إن الحياة بورصة كبيرة .. أسهم طالعة ونازلة.. وناس بين يوم وليلة فوق قوي أو تحت الأرض.

مقتنص الفرص ده، عامل زَي الناس اللي عندها هوس بتجميع الأنتيكات.. أو الطوابع.. أو حتى المفاتيح اللي مالهاش صاحب..

sniper واقف بيتفرج على العالم من فوق، بينقى الفرصة المناسبة، والتوقيت المناسب، ويدوس ع الزناد، لكنه طول الوقت الخاص بانتظار الفرصة.. كان مؤمن بإنها جاية ومصدق ده من جواه.

مورجان فريمان في Million Dollar Baby كان بيقول:

«الناس يموتون يوميًا يا فرانكي، وهم يمسحون الأرض ويغسلون الأطباق. أتعلم ما هي آخر فكرة خطرت لهم؟ أنهم لم يحصلوا على فرصتهم أبدًا.»

طب اشمعنى.. فيه ناس بتاخد فرصة وناس لأ..

الحقيقة من وجة نظري طبعًا هي إن الفرصة مش هتيجى غير للشخص اللي يستحقها، وفي الوقت اللي يناسبه، ومتفصلة عليه كويس جدًا وعليه هو فقط لا غير.

بمعنى أبسط.. الفرصة رزق، وأي رزق في الدنيا محتاج تلات حاجات أساسية: تعب.. صبر.. وحكمة.

البنت الحلوة رزق، الولد الراجل رزق، الصاحب الجدع رزق، الشغل رزق، الموهبة رزق، القصيدة الحلوة رزق، والكتاب الحلو رزق، حتى رسايل ربنا اللي بتحس إنها مبعوتة لك في وقت معين.. برضو رزق.

***

الفقد والافتقاد

لعنة التفاصيل

الحنين هو «الشبح» اللي بيجرى وراك في كل حتة.. إحساسك إنه موجود في كل حاجة حرفيًّا.. مافيش طريق تقليدي للهروب منه.. لدرجة إنك بتحس إنك محبوس في تفاصيل الأماكن والبارفانات والأغاني، الأفلام اللي بيحبها، الهدايا اللي جابها، الرسايل اللي على الموبايل، والصور، والمناسبات اللي كانت بتجمعكوا، والضحك اللي من القلب، والأيام اللي لما بتفتكرها بتدخل في فلاش باك ينتهي بتنهيدة، وكل الحاجات اللي بتحس إنها وجعاك لمجرد إنك عايز تشوف حد ومش قادر.

الحنين هو انعكاس طبيعي لذاكرة المحبين. الإنسان ممكن تكون ذاكرته قوية، ذاكرة الأماكن والأرقام والوشوش والأحداث، وممكن يكون عكس كده، ذاكرته ضعيفة وبينسى كل حاجة وأي حاجة بسهولة.

إلا في العلاقات، سواء كان بيفتكر بسهولة أو بينسى بسهولة، لكن رجله لازم تيجي في فخ الحنين ما دام تجرأ ودخل في علاقة وقرر إنه يشارك شخص تاني معاه ذكريات وأماكن وأغاني وأحداث.

«رباه.. أشياؤه الصغرى تعذبني كيف أنجو من الأشياء رباه؟

هنا جريدته في الركن مهملة. هنا كتابٌ معًا.. كنا قرأناه

على المقاعد بعضٌ من سجائره وفي الزوايا.. بقايا من بقاياه»

نزار قباني

الفكرة هنا إن الحنين ممكن نفهم بشكل خاطئ إنه ينطبق على العلاقات اللي انتهت أو الناس اللي خرجوا من حياتنا، لكن الواقع بيقول عكس كده، الحنين حالة مبتنتهيش، ومش مرتبطة بوجود الشخص أو العلاقة من عدمهم.

يعني وارد جدًّا إن الحنين يسافر بيك وأنت مع نفس الشخص لذكرى حلوة معينة أو لمكان حلو أو لكلام كنت سمعته منه قبل كده.

الفنانـة «وردة» كانـت بتغنـي عـلى المسرح وأول مـا عرفـت إن جوزهـا بليـغ حمـدي وصـل وقّفـت الحفلـة، وراحـت عليـه وباسـته عـلى المسرح، وقالـت بقـالي شـهر ماشـوفتوش!

الفـرق بيـان أكـتر بالمسـافات وبالفـراق؛ لأن طـول مـا هـمَّ معـاك مش هيهفّوا عليك، مش هتحـس إنك نفسـك فيهـم، مش هييجوا في بالـك بشـكل مباشر وتقـول ياه لـو فـلان موجود، رغم إنـك ممكـن يكـون عنـدك في اللحظـة دي حنـين لـشيء يخصـه هـو بنفسـه لكـن مش ليـه.. فيـه نـاس مابتقربـش منـك أوي غـير لمـا تبعـد فعـلًا.

الحنين هـو الحاجـة الوحيـدة الـلي تعتـبر حالـة عامـة، يعنـي مش شرط راجـل وسـت، ممكـن يكونـوا اتنـين صحـاب.. اخـوات.. أب.. أم.. مـن الآخـر الحنـين مـش محتـاج تأشـيرة أو خِتـم باسـبور عشـان يـزورك كل يـوم بالليـل..

الحنين خاص بالناس كلها.

نـاس بتكـون معـاك طـول الوقـت.. قدامـك.. متاحـين.. هتعـرف تلاقيهـم لمـا تحتاجهـم.. وفجـأة ظـواهـر القـدر الطبيعيـة تتدخـل والريـح تغيَّر اتجاه المراكـب وفجـأة تبقـى مضطـر تودعهـم، أو تتفاجـئ إنهـم مشـيوا.

«لو ضروري تفوتني خُد منّي الحنين»

قالتها أنغام في أغنية «شنطة سفر» وهي بتعبّر عن حزنها الشديد لحبيبها اللي مسافر وسايبها.

كلنا عندنا ذكرى مع مطار ما، ولو ماعندنكش، يومًا ما هيبقى عندك، وهتفهم وهتحس أكتر أنا بتكلم عن إيه بالظبط.

ريحة المطارات دموع، يا إما دموع حزن على حد مسافر يا إما دموع فرح على حد راجع.. السفر شَبَه الموت.. كله فراق.

الفكرة كلها إنك في حالة السفر بتدي لنفسك أمل إنك هتشوف الشخص ده تاني.. هتعرف تسمع صوته.. هتعرف على الأقل تطمن عليه وده حنين وله وجعه.. وله دموعه وله تأثيره وإحساس النقص المعتاد بعد أي غياب.. وده اللي بيسموه الافتقاد.

«إنما بقى الموت»

فَده مش حنين، ده كسرة ضهر، حاجة كده بتيجي تخبطك في نُص روحك وتخليك مصدوم لدرجة إنك يا إما مش عارف تعيط، يا إما مش عارف تبطل عياط.

وده حنين ساعات بياخدك لمكان ممكن ما تعرفش ترجع منه تاني لحياتك الطبيعية.

أمي كانت بتحكي لي في مرَّة وإحنا بندردش عن يوم وفاة جدي، قالتلي إنه قبل ما يموت بكام يوم جدتي كانت تعبانة، كانت تعبانة جدًّا.. وقالهم أنا مش عارف أعمل إيه، أمكم خلاص بتموت.

فِضِل مكتئب لحد ما صحابه كانوا رايحين فرح وخرج معاهم من باب التغيير.. في وسط الفرح قال لصحابه إنه هيروح يتمشى شوية.. وراح وغاب.. غاب أوي.. لما دوروا عليه لقوه ساند ضهره على عامود نور ومابيتكلمش، ولما حاولوا يفوقوه اكتشفوا إنه مات.

أخدوه البيت وقالوا لجدتي إنه تعبان شوية، وابتدوا يدّخلوه سريره ويقلعوه الساعة والجزمة وسط دهشة جدتي اللي طلبت منهم إنهم يسيبوه وهي هتعمل كل حاجة.. وهمَّ خارجين من البيت قالوا لواحد جنب البيت انه توفى.. وقالوله إنهم ماقدروش يبلغوا جدتى بالخبر عشان رد فعلها.

جدتي اللي كانت يوم الدفن والعزا متماسكة جدًّا، وبتطلب من أولادها إنهم يتماسكوا ومايزعلوش.. هي هي نفس الست اللي بعدها بـ ٣ أيام انفجرت من العياط وفضلت تصرخ من حزنها لحد ما صوتها راح، كأنها كانت فاكرة نفسها بتحلم ولما اكتشفت إنها مش بتحلم وإن اللي حصل حصل انهارت.

قريبي اللي بلغوه بوفاة أبوه وعلى ما رجع من القاهرة جالنا على المقابر على طول، وطلب مننا نسيبه لوحده شوية.. وقالي إنه آخر مرة شافه كانت قبل ما يروح القاهرة، وكانت أول مرة يوصّله لحد المحطة.. وقالي: «كنت حاسس ساعتها إنها آخر مرَّة هشوفه فيها».

« لو كنت عارف إن دي المرة الأخيرة مِيّة مِيّة كانت هتفرق في الوداع»

مصطفى إبراهيم

كان فيه مشهد في مسلسل جراند أوتيل.. بين سوسن بدر ومحمود البزاوي

بيتكلموا فيه عن واحد زميلهم في الشغل مات بعد ما محمود البزاوي اتعين في الأوتيل بفترة بسيطة جدًّا

بيقول لها:

«- يعني أنا مثلًا مكنتش أعرفه.. بس بيني وبينك قلبي وجعني عليه أوي. ابتديت أفكر إني لو كنت معاكوا في الشغل من زمان كنت بشوفه يوميًا زيكوا.. بيقول لي صباح الخير وأرد عليه أحيانا وأحيانا لأ.. في اللحظة دي بتفكري في الفرص الضايعة.. كلمة حلوة ماتتقالش.. صباح الخير اترد عليها من غير نفس.. الكلام العادي، الحاجات اللي بنعملها كل يوم

دي واللي مابنحسش بقيمتها غير لما حد يتخطف من وسطنا.. نبتدي نقول لنفسنا إحنا ليه قُلنا كذا وماقُلناش كذا.. إحنا ليه عملنا كده وماعملناش كده!»

مصطفى إبراهيم وفَّر كلام كتير جداااا على ناس أكتر لما قال:

« عيشوا المشاهد كل مشهد زَي ما يكون الأخير..»

ما تستناش على حد بتحبه وغالي عليك مهما كان مسمى وجوده في حياتك اللحظة اللي يتحول فيها افتقادك ليه ولتفاصيله البسيطة الحلوة فجأة إلى فقد.. مافيش أغلى من قيمة الإنسان عند الإنسان.

❊❊❊

مثلث الحب

كل العلاقـات الإنسـانية بشـكل عـام والعلاقـات العاطفيـة بشكل خـاص بيبقـى ليهـا مثلـث اتزان.. أو معادلـة تبادلية بتحـدد مسـتقبل العلاقـة مبكـر جـدًّا.. تقـدر مـن خلالهـا تتنبـأ العلاقـة دي جايـة منـين ورايحـة عـلى فـين.. والمثلـث ده بيتشـكل مـن التـلات حاجـات دول:

- العطاء
- التضية
- الاحتياج

وطـول مـا في خلـل بـين رقـم ١ ورقـم ٢ هتلاقـي في اضطـراب في نسبة الاحتياج .. وبسـببها هتتوتـر العلاقـة وممكـن توصـل لمرحلـة حـب مـن طـرف واحـد رغـم انـه ممكـن جـدًّا يكـون بـدأ بمشـاعر متبادلـة بنفـس القـدر والكـم مـن الاهتـمام.



لا قيمة لعطائك إن لم يكن جزءًا من ذاتك.

جبران خليل جبران.

العطاء

العطاء .. أهم دلائل الحب .. أنت ببساطة مش هتبقى مضطر تقدم حاجة لحد من غير مقابل إلا إذا كنت بتحبه . إحساس الحب في حد ذاته عطاء .. عطاء مشاعر معينة لشخص معين من غير سبب .. غير إنك عايز تشوف ابتسامته و تحس انه مبسوط.

لو في مقابل ينفع نطلق له اسم على العطاء فهيكون المقابل ده اسمه «سعادة الآخر».

وقت العطاء أنت بتحس بارتياح غير عادي لمجرد إنك رسمت ابتسامة على وجه إنسان بتحبه.

كان فيه فيلم قصير بيتكلم عن طفلة راحت محل هدايا ومجوهرات وكان نفسها تشتري هدية لأختها.. بصت على سلسلة في الفاترينة، ودخلت عشان تشتريها بمنتهى براءة الطفولة اللي في الدنيا.

أول ما دخلت طلبت من صاحب المحل يوريها السلسلة عشان تشتريها لأختها الكبيرة، وطلبت منه بدقة إنه يغلفها بشكل جميل.

فسألها طبعًا:

- ولكن هل يوجد لديك نقود؟

الطفلة برضو وهي مكملة في البراءة طلعت مجموعة من العملات المعدنية اللي كانو معاها .. كل اللي معاها تقريبًا وحطتهم قدامه وقالت له:

- هل هذا يكفي؟ أريد أن أهدي هذه القلادة لشقيقتي الكبرى، بعد وفاة أمنا هي من تقوم بتربيتنا، أريد أن أهديها شيئًا جميلًا لتبتسم من جديد.

وفعلًا الراجل أخد السلسلة وحطها في علبة شيك، وطلب من البنت الصغيرة تحملها بحذر.

بعدها بشوية أخت البنت الكبيرة رجعت المحل عشان ترجَّع السلسلة أو تعرف حتى تمنها.. وقتها صاحب المحل رفض الموضوع وحط يافتة closed قدامها على البار عشان يمنعها من الإستمرار في المحادثة، وقال لها منهيًا المناقشة في الموضوع :

- أختك الصغيرة دفعت ثمنًا لا يمكن حتى للكبار أن يدفعوه، أعطتني كل ما تملك.

***

العملات المعدنية البسيطة اللي كانت مع الطفلة جايز ما كانتش تجيب تمن حتى اللفة اللي فيها العلبة والسلسلة، لكن الطفلة فعلًا كانت لمجرد إنها عاوزة تشوف ابتسامة أختها، دفعت كل حاجة معاها دون مقابل غير بس سعادة شخص بتحبه.

وده لأن فيه ناس كتير سعادتهم هي إنهم يسعدوا اللي حواليهم.

سيدنا علي لما سألوه: كيف يعرف الإنسان إن كان من أهل الدنيا أم من أهل الآخره؟!

قال:

- «إن دخل عليك من يعطيك شيئًا، ودخل عليك من يأخذ منك شيئًا؛ فإن فرحت بمن أعطاك أكثر من فرحتك بمن أخذ منك فأنت من أهل الدنيا، وإن فرحت بمن أخذ منك أكثر من فرحتك بمن أعطاك؛ فأنت من أهل الآخرة؛ لأن الإنسان يحب من يعمر له ما يحب».

مش كل العطاء فلوس، أو هدية، أو حتى شيء مادي. العطاء المعنوي أهم أنواع العطاء في العلاقات الإنسانية.

كلمة أنا آسف بعد ما تغلط في حق حد عطاء قبل ما تكون واجب. رغيف العيش الأخير اللي بتقسمه مع صاحبك وانتوا بتاكلوا سوا، عطاء.

أبوك اللي سمعته باهتمام وهو بيتكلم في تفصيلة ما تخصكش أوي، عطاء.

أمك اللي قُلتلها تسلم إيديكي رغم إن الأكل كان ناقص ملح بس احترمت وقفتها في المطبخ طول النهار عطاء.. الست الكبيرة اللي أنت بتشيل عنها الأكياس وتطلع بيها أربع خمس أدوار.. الراجل الكبير اللي أنت هديت بالعربية عشان تعديه.

الطفل الصغير اللي شُفت عيال ملمومين حواليه وهيضربوه فمنعتهم عنه. الست الحامل اللي كانت واقفة في المترو وأنت قُمت وقعدتها مكانك. بياعة المناديل اللي بدّلت معاها الفكة بكام دعوة حلوة. القطة اللي عدت جنبك وأنت بتاكل من على عربية في الشارع فرميت لها حتة من اللي بتاكله. الكلمة الحلوة اللي قُلتها لأختك بعد ما كَوَت لك القميص. برافو اللي قُلتها لإبنك لما جاب درجة كويسة. كلمة شكرًا اللي قُلتها لمراتك بعد ما ناولتك الدوا وأنت تعبان..

كل ده عطاء.

كل دي حاجات مابتحصلش غير لو كان فيه «حب».. حب حقيقي مبني على المشاعر المجردة بالرغبة في إسعاد الآخر، والآخر ده ممكن حتى يكون إنسان غريب ماقابلتوش غير مرة واحدة ومش هتقابله تاني في حياتك.

المنع نفسه ممكن يكون عطاء.

في قصة الخضر وسيدنا موسى عليهما السلام، لما قال:
«فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا»[1]

١- سورة الكهف، آية ٧٣.

بتتكلم عن سيدنا الخضر لما عاب السفينة وأحدث ثُقب فيها، وسيدنا موسى تعجب من تصرفه. وبعد أحداث كتيرة، سيدنا الخضر شرح له إنّ كان وراهم ملك بياخد كل السفن غصب؛ فكان لازم تحصل مشكلة في السفينه عشان الملك مايا خدهاش منهم.

المنع ده كان من النوع اللي وراه عطاء أو بمعنى أصح «اللطف الخفي».. ربنا مابياخدش من حد حاجه، ربنا يا هيديك على اللي معاك، يا هيبدل حاجة بحاجه مكانها.

« لا تعبدوه ليعطي.. اعبدوه ليرضى.. فإن رضى أدهشكم بعطائه»

الشيخ محمد متولي الشعراوي

لازم نكون إحنا كمان في علاقتنا ببعض كده، عطاءنا بدون مقابل، ومانحبش حد لمجرد إننا بناخد منه شيء سواء مادي أو معنوي؛ لأن كده الحب هيكون مبني على سبب، وينفع يزول الحب وقت زوال السبب.

عشان كده الجوازات أو بمعنى أدق الصفقات اللي تمت بناءً على طرف غني وطرف على أدّ حاله، فشلت لأنها مبنية على

عطاء وهمي ممكن ينتهي في أي وقت.. مش شرط غنا مال، ممكن يكون الغنا جمال، أو منصب، أو شهرة، أو أي طفرة خلّت الشخص ده عنده غنا في شيء معين.

عشان كده لما تيجي تحب.. حِب اللي يحبك لنفسك مش لجمالك أو فلوسك أو شهرتك أو أي شيء غير إنه يكون بيحبك فعلًا.. هي النصيحة تبان ساذجة لكنها أثبتت نفسها على مَرّ العصور والتاريخ والتجارب مع كل الناس.. الإنسان أصله واحد مابيتغيرش، واللي بيحب بسبب، بيمنح بسبب، وبيطلب ويستنى لنفس السبب.

من فترة كده، آسر ياسين كان منزّل صورة مع مراته، والناس دخلت تتريق بشكل مؤذي نفسيًا..

آسر رد وقال إن دي شريكة حياته، وإنه بيحبها، وإنه شايفها أجمل واحدة في الدنيا، مفيش أكتر من البنات الحلوة شكلًا.. بس وبعدين يعني؟!.. بعد ٢٠ سنة.. بعد ٣٠ سنة؟!

وأنت راقد في سريرك كده، تفتكر جمالها هو اللي هيناولك كوباية الميَّه عشان تاخد الدوا؟!، وهو اللي هيدعي لك بالشفا وهو اللي يستنى يكمل معاك للنهاية؟

ولا حنانها عليك وعطاءها اللي مابينتهيش.

لما كبرنا وبقينا نملا الدنيا صوت وحركة.. هل حبنا لأمهاتنا قلّ عشان شكلهم اتغير.. ولا فضلنا نحبهم؟!.. الحب الحقيقي مش شكل.. مش مكياج.. مش «موديل».. اختار شريك يتحط جوة قلبك مش جوة فاترينة العرض.

واحترم عطاء الآخرين.. ولو بنظره رضا.. فيه ناس ممكن تموت عشانك.. إشكرهم وابتسم في وشوشهم.. وقُل لهم كلام حلو، كلام يستحقوه فعلًا.. همَّ أصلًا مش محتاجين منك حاجة.

عشان همَّ شايفينك غالي لدرجة إن مفيش حاجة تغلى عليك.

***



«لطالما لم أكن أرغب بتعلُّم الشطرنج لسبب بسيط لم يفهمه أصدقائي سابقًا، وفهموه الآن وهو أني لا أريد أن أقتل جنديًّا وكل جيشي وكل من على أرض الشطرنج كي يحيا الملك.»

غاندي

التضحية

«كِشّ مَلِك»

تحكي بعض الروايات عن اختراع لعبة الشطرنج أن «سيتا» الهندي.. مخترع اللعبة في القرن السادس الميلادى لما دعاه الملك ليكافئه على اختراع اللعبة العجيبة والمسلّية كان طلب «سيتا» غريب بعض الشيء.

بعد أن أثنى عليه الملك لاختراعه اللعبة قال له اختر المكافأة التي تريدها وسوف ألبي لك كل رغباتك.

لم يتردد سيتا في تفكيره طويلًا، وطلب حينها طلبًا عجيبًا غضب منه الملك وتعجبت منه الحاشية و قال:

- أريدك أن تعطيني عن المربع الأول من مربعات الشطرنج حبة قمح واحدة، وعن المربع الثاني حبتين، وعن المربع الثالث أربع حبات، وعن الرابع ثمانية وهكذا عن كل مربع ضِعف عدد حبات القمح عن المربع السابق له، حتى تنتهي مربعات الشطرنج».

قيل وقتها أن الملك غضب وقيل أيضا أنه سخر منه.. لكنه بالنهاية أمر بتنفيذ مطلبه كاملاً وعندما جاء المساء وسأل الملك عن تنفيذ طلب « سيتا» أخبروه أنهم استدعوا علماء رياضيين ليحسبوا الحسبة كاملة واكتشفو أن الرقم الناتج في النهاية لن تكفيه مخازن القمح الموجودة في البلاد كلها.

***

أول مرّة بدأت ألعب فيها الشطرنج كنت في إعدادي.. كان لِيَّ صديق مهووس باللعبة، قرر يعلمني قواعدها وطريقة لعبها. ما أعرفش هو كان عايز يعلمني فعلًا وألّا كان بيعلمني لمجرد إنه يلاقي حد يلعب معاه.

الشطرنج ٦٤ مربع و٣٢ قطعة متقسمين ١٦ لكل فريق.. أكتر قطعة موجودة في اللعبة هي العسكرى.

أول ما اتعلمت كان أسهل حاجة عندي إني أضحي بالعساكر، أنا فاكر جملة كانت بتتكرر كتير وإحنا بنلعب مع بعض:

- موّته عادي ده عسكري.. عندي منه كتير.

اللي بيلعبوا شطرنج هيعرفوا إن التضحية بتتم بشكل تصاعدي؛ يعني بتضحي بالعسكرى عشان تنقذ الفيل مثلًا، وبالفيل عشان الحصان أو الطابية.. بطابية عشان الوزير.. وبالوزير عشان الملك!!.. ١٥ قطعة مستعدين يموتوا في سبيل حماية قطعة واحدة.

« عندما يموت آلاف الجنود لا أحد يكترث ببساطة لأنهم جزء من الخطة، وعندما يموت عمدة تافه يفقد الجميع صوابه!»

the dark night

***

المفروض الواحد قبل ما يضحي بحاجة أو يضحي عشان حد.. يحسبها كويس.. ويشوف هو بيستثمر تضحيته في سهم كسبان ولا في سهم نازل بيه لسابع أرض.

في كل مكان بتلاقي حد بيضحي عشان حد. في كل بيت، أب بيضحي بوقته وبصحته عشان يربي ويعلم ولاده، وأم بتضحي بسعادتها وبتحرم نفسها في مقابل إنها ترسم ابتسامة على وِش واحد من ولادها.. فيه أخ كبير شايل حِمل إخواته.. أو أخت كبيرة شايلة البيت كله على ضهرها وماشية..

أنت نفسك عندك الشخص اللي ممكن تموت عشانه، وعندك الشخص اللي ممكن يموت عشانك برضو. التضحية من سنن الحياة.. كلنا بنضحي عشان بعض طول ما فيه حب، وكلنا بنضحي ببعض طول ما فيه أنانية.

«من السهل جدًا أن يضحي الشاب من أجل فتاة، ولكن من الصعب أن تجد فتاة تستحق التضحية»

نزار قباني.

سيبك من موضوع شاب وفتاة خالص دلوقتي، بس فعلًا أنت سهل تلاقي حد يضحي عشان حد، بس صعب أوي تلاقي الشخص اللي يستاهل ده

لأنك ببساطة شديدة كل ما بتزود كفة التضحية من ناحيتك.. كل ما بتزود كفة الأنانية من ناحية الطرف التاني.. عشان فيه ناس من كتر ما أنت بتعمل عشانها.. ما باقتش بتحس إنك بتعمل حاجة.

بقت شايفة إن ده العادي، وإن ده المفروض. تحولت التضحية من شعور نبيل ورمز للحب إلى حق مكتسب، بل بالعكس، أنت لو ماعملتش كده تبقى مقصرّ ومابقتش تحبهم زَي الأول.

لذلك إوعى تلوم على الأنانيين.. عشان أنت اللي بتصنع أنانيتهم..

طب لو خلاص وقعت في المشكلة وبتعامل مع شخص أناني أتصرف إزاي ؟

ما نقلقش أنا مش هشاور على المشكلة وأمشي في الموضوع ده بالذات.. رغم إن الصحي في الكلام عن العلاقات إنك تشاور للشخص على المشكلة وتوضحها له فقط.

لكن إيجاد الحلول ده مسؤولية الشخص صاحب المشكلة لأنه أدرى بأفضل الحلول.. ينقصه دومًا الاعتراف بوجود المشكلة فقط.

الأشخاص الأنانيين دول، شبه الأطفال اللي اتدلعوا زيادة عن اللازم فكبروا وهمَّ متعودين يشاوروا على الحاجة تيجي..

طب والحل؟!..

بسيطة .. امنع عنهم المصروف.

أنت معوّدهم على جرعة معينة من الاهتمام أو التفاني والتقدير وانت اللي بتصالحهم حتى لو أنت اللي زعلان.

أنت اللي بتدي طول الوقت وبتراعي اللي بينكوا وفارق معاك كل التفاصيل الحلوة، ومش عايز تخسرهم تحت أي وضع عشان انت حبيتهم للدرجة اللي خليتهم يحبوا نفسهم أكتر من الآخر..

كده أنت اللي ممسوك من إيدك اللي بتوجعك والحل الوحيد إنك تقطعها!

المعاملة بالمِثل.. تعالى على قلبك شوية وغيَّر معاملتك بمعاملة مماثلة إلى حدٍّ ما.. ماتقساش عليهم بس ماتبقاش حنين.. خليك عاقل.. حط قلبك على جنب واتعامل.. لازم يدركوا قيمة اللي أنت بتعمله.

لازم يعرفوا قيمة وحجم دورك في حياتهم، وده عمره ما هيحصل طول ما أنت مستمر في العطاء، ببساطة لازم يبقى فيه حاجة اسمها «كش ملك».. عشان الملك ياخد باله إن فيه ناس بتموت عشان هو يعيش.

***

«المرأة لا تزهر في سنٍّ معينة، ولكنها تزهر مع رجل معين»

أنجلينا جولي

الاحتياج

عمرك خدت بالك إن فيه حاجات دايمًا قُدَّام عينك، مش شرط أشخاص، ممكن تكون «أشياء».. قدامك طول الوقت ومش بتستخدمها .. وأول ما بتحتاجها.. مش بتلاقيها وكأنها اختفت.

الحب زَيه زي أي حاجة.. لما بتزيد بتضر.. بتتحول لحالة إدمان غريبة.. تيار بيسحبك واحدة واحدة لحد ما تلاقي نفسك في دوامة غرق.

الاحتياج بيخليك «هَش».. قابل للكسر.. محتاج تنسند على أي كتف وتمسك في أي إيد.

محتاج تهرب لأي حضن يعوضك عن الفراغ العاطفي اللي بتحس بيه.. الخانة اللي محدش قادر يسدها.

كلمة «وحشتني» أوقات كتير بتكون أحلى وأهم من كلمة «بحبك « الطبيعي إننا نحب بعض؛ فلما حد يقولك بحبك هو بيأكد معلومة، إنما اللي بيقول لك وحشتني.. بيغيّر دم العلاقة اللي ممكن تكون اتفككت بفعل الوقت أو الروتين، أو المسافة النفسية، أو المسافة المكانية اللي بتفصلكوا عن بعض.

أي علاقة في الدنيا عاملة زَي حتة أرض فاضية، اللي هتزرعه هتحصده.. وهيبان تأثير وجودك على شريك حياتك.. فيه ناس بتتساب تبقى أحلى.. وفي ناس مابتحلوش غير لما بتحب.

إيه فايدة الحب أصلًا لو ماغيَّرش حياتنا للأحسن؟!.. وليه نفضل نستهلك بعض في حكاية عبارة عن طرف محتاج الطرف التاني ومش لاقيه.

«الاهتمام مالوش علاقة بمشغوليات ولا بظروف ولا بحجج متعلقة على شماعات كلمة «يمكن» .

اللي ما اهتمش بيك من الأول مش هيهتم بيك بعدين؛ لأن الموضوع كله عبارة عن عملية إعادة ترتيب أولويات..

يعنيماينفعش حد يبقى رقم واحد في حياتك وأنت بالنسبة له رقم اتنين، هو مش سباق، بس لازم تبقى عارف إن اللي

بيحب حد حب حقيقي هيبقى عنده رقم احد غضب عنه طول عمره.

القلب هو الحاجة الوحيدة اللي ماحدش يقدر يسيطر عليها.. بدليل إنك مش قادر تخليه رقم اتنين زَي ما هو مخليك.. عارف ليه؟!.. عشان أنت بتحبه أكتر.

ولأن أي إتنين بيحبوا بعض ربنا بيرزقهم بطاقة حب عبارة عن ١٠٠٪. وغالبًا بتبقى متقسمة ٦٠ : ٤٠ في الأول.. عشان طرف فيهم يجري ورا التاني ويحاول يوصلّه..

غالبًا بتبقى ٧٠ : ٣٠ في حالات المرض أو السفر أو أي حالة تستدعي إن الطرف الأول يبقى متعلق بالطرف التاني ومشغول بيه أكتر.

المشاكل بتبدأ أول ما النسبة بتزيد عن ٧٠٪ لأن كل ما الطرف الأول نسبته بتزيد، الطرف التاني نسبته بتقل لأن ببساطة الطرف التاني بيبتدي يحس بامتلاك الطرف الأول..

أنت نفسك لو في إيديك حاجة متأكد إنها مش هتضيع من إيدك مش هتخاف عليها.. العلاقة هتستقر طول ما هي متقسمه (٥٠ : ٥٠) غير كده تحت أي وضع هيبقى فيه طرف دايمًا بيمنح بس، وطرف تاني متعود ياخد كل حاجة. احنا اللي بنصنع أنانية الأشخاص اللي بنحبهم بحبنا ليهم.. فمش من المنطقي إننا نعاتبهم عليها بعد كده.

طب وبعدين؟!

صُلب الاحتياج والنقطة اللي ماحدش واخد باله منها، إنك مش محتاج حد؛ لأنك ممكن تعيش لوحدك!.. آه تقدر.. أنت مش هتعيش سعيد بنسبة ١٠٠٪ بس مش هتموت برضو.

الحقيقة بقى إنك محتاج تحس إن فيه حد محتاج لك، حد تفرَّغ فيه كل رصاص الحزن اللي في مسدس الوحدة اللي بتحس بيها.

حد يحسسك إنك مهم بالنسبة له وفارق معاه.. وجودك له معنى وصوتك وكيانك حاجة غالية بالنسبة لشخص ما.

حد يخليك تعيد اكتشاف نفسك.

لكن الاحتياج بيخليك عايش مجرد نبض بتاكل وبتشرب وبتنام.. بس مطفي، محتاج للشخص اللي يعيد صياغة كل اللي مش عارف تقوله في حضن طويل أو خروجة حلوة.. رسالة مكتوب فيها كلمتين حلوين تجيلك في نص اليوم، تقراها وتبتسم من قلبك، الهدايا اللي من غير مناسبة، المقابلات اللي مش مترتبة.. كل ده بيغير الجو العام للحدوتة.. وبيدي للطرفين دافع نفسي قوي عشان يستمروا.. تفاصيل صغيرة أوي.. بس بتفرق جداً.

هند صبري كانت بتقول في مشهد من فيلم لعبة الحب

«زمان كنت فاكرة إن الحب ده حاجة كبيرة أوي

زي إنك تقف قدام اللي بتحبه وتاخد رصاصة مكانه مثلًا

بعدين لما كبرت عرفت إن الحب أبسط من كده بكتير

إنك تتنازل وتيجي على نفسك عشان تعرف تتفاهم مع اللي أنت بتحبه

بس بيني وبينك إنك تاخد رصاصة أسهل.»

لأن ببساطة لما تموت مرة واحدة، أحسن بكتير من إنك تموت على مدار حياتك.

ده غير الناس اللي بتجيلك وقت ما غيرك بيرميها.. الناس اللي ركناك صف تاني.. يشاركوك أحزانهم بس.. وأنت عشان بتحبهم حابس نفسك في بيت لقصيدة للمتنبي بيقول:

« قليل منك يكفيني ولكن.. قليلك لا يقال له قليلُ «

الناس اللي ينطبق عليهم بشكل كلي أغنية أنغام اللي بتقول فيها:

طول ما أنت بعيد أنا بتطمن إن أنت بخير

علشان أنا مش ببقى حبيبتك غير في الأحزان

حب من طرف (زاهد) يعني .. أنت بتحبهم وهمّ بيحبوا ناس تانية.. وانت عارف.. ومش قادر تنطق.. ومستني معجزة تحصل.. ويحسوا بيك.. وغالبًا بتفضل مستني لحد ما تحضر فرحهم وتبارك زَي أي حد.. وتقتنع بالنهاية أخيرًا.. وتعاني

شوية لحد ما تلاقي الشخص اللي يعوّضك عن رحلة غلط في غلط مشيتها لوحدك.

عمومًا..

لو أنت بتحب حد مش حاسس بيك أو مش شاغل باله التفاصيل بتاعة أول مرَّة تتقابلوا كان يوم كذا، أو عيد ميلادك أو عيد جواز والتورايخ بشكل عام، الحاجات اللي ممكن تكون من وجهة نظر البعض «تافهة».. وإنك شخص مبالغ فيه عشان بتركز فيها.. وإنك عايش في عالم بعيد عن أرض الواقع.. يبقى من الأفضل إنك تعيد حساباتك.. لأنك ببساطة محتاج حد يحبك أكتر من كده.

أنت ماتقدرش تتحكم في مشاعر حد ناحيتك.. بس تقدر «إلى حدٍّ ما».. وبنسبة بسيطة جدًّا تتحكم في مشاعرك أنت.. يعني تعالى على نفسك واتعالج منه.. وعلم نفسك تعيش شوية من غيره، هتتعب في الأول شوية، بس لو قدرت تقلل من عدد الخطوات اللي بتجريها وراه، هتزود من عدد الخطوات اللي بيجريها وراك.. وهتلاقي مشكلتك بالتدريج محلولة.

«دوّري على اللي تعرفي تعيشي معاه، مش ماتعرفيش تستغني عنه، وصدقيني ماحدش بيموت من الحُب.»

رجاء الجداوي.. فيلم: السلم والتعبان

***

مثلث النهايات

زي ما فيه مثلث لعلاقة وهي بتتبني وتكمل في مثلث برضو بحب أسميه مثلث النهايات، الحاجات اللي ممكن تقضي على أي علاقة.

الحاجات دي هي:

- الملل.
- الخيانة.
- القَدَر.



«إذا جثم عليك كابوس الملل ابحث عن واحدٍ يملّ معك»

د.مصطفى محمود

سرطان العلاقات

في مـارس ١٩٩٤ حدثـت أغـرب جريمـة انتحـار في التاريـخ بسـبب اليـأس والملـل.

«رونالـد أوبـوس» .. شـاب قـرر ينتحـر بإنـه يرمـي نفسـه مـن الـدور العـاشر بسـبب فشـله ويأسـه مـن الحيـاة ومللـه مـن كل حاجـة وتدهـور كل أحوالـه العامـة .. سـاب رسـالة انتحـاره قبـل مـا يرمـي بنفسـه مـن الـدور العـاشر في إحـدى العـمارات.

«رونالـد» رمـى نفسـه مـن الـدور العـاشر ومكانـش يعـرف إن في شـبكة أمـان للإنقـاذ معلقـة في الـدور التامـن كان واضعهـا عـمال الصيانـة وكانـت هتنقـذ حياتـه .. إلا إن الشـبكة دي للأسـف

فشلت في إنها تنقذ حياة «رونالد» لأنه ببساطة ولسوء حظه الشديد مات في الدور التاسع.

أيوة فعلًا الحكاية مش دعابة .. رونالد مات في الدور التاسع وهو في الهوا نتيجة رصاصة خرجت بالصدفة من مسدس لصاحب شقة في الدور التاسع لنفس العمارة في التوقيت اللي جسده كان بيعبر المسافة من العاشر للتامن والرصاصة استقرت في الرأس.. وتحولت جريمة الانتحار لجريمة قتل.

***

الملل .. سرطان الحياة وسرطان بينهش في أي علاقة إنسانية مهما كانت قوية ومترابطة ومبنية على كل عوامل النجاح.

هي مش عارفة إنها غلطانة.. وأنت مش هاتعرف تقنعها إنها «اتغيرت».. لأنها ببساطة اتغيرت من غير ما تاخد بالها.. إنت نفسك اتغيرت وما أخدتش بالك.. خلينا نقول إن مفيش حاجة اسمها «ملل».. يعني محدش بيزهق من حد بيحبه بالمعنى الحرفي للكلمة.

الفكرة كلها إن الشغف انتهى، ماعادش فيه حاجة جديدة، وكأنك حبست نفسك في فيلم «ألف مبروك»، وعمَّال تتفرج على شريط حياتك بيتعاد بالتفصيل الممل.. تفصيل ممل قوي.

مفيش حاجة اسمها ملل من الشخص .. يعني أنت مش هتزهق منها هي، ولا هي هتزهق منك أنت، انتوا هاتزهقوا من الوضع.

تقريبًا نفس الكلام.. محبوسين في حياة بوش واحد، مفيش براكين نشِطة في العلاقة، فيه حالة خمول بتترسب في اللاوعي، فتحِس إنك في الآخر مابتحبش اللي معاك، أو بمعنى أصح: بطلت تحبه!!

وتلاقي السؤال المخيف بيطرح نفسه في كل قعده وخروجه وزيارة وأي حاجة بتتشاركو فيها : أنت لسه بتحبني؟!..

لو العلاقة معتمدة على الصراحة من الأول هتخاف تجاوب.. ولو بيتخللها الكذب والادعاء من وقت للتاني .. مش هتعرف تجاوب. أنت فعلاً مش عارف.

والحقيقة إنكم لسه في حالة حب، بس مش في حالة حب للحياة نفسها.. مش حابب الوضع اللي بقيتو فيه، علاقات كتير بتنتهي بالشكل ده، وفيه نوع من العلاقات مابينتهيش؛ لأنها علاقات التزامية، مرتبطة بأولاد وبمسؤلية وببيت.

في فيلم «المنسي»، عادل إمام كان مسؤول عن تحويل القضبان للقطارات اللي بتعدي المحطة اللي هو مسؤول عنها .. كان بيكلم يسرا وبيقول لها:

«زهقتي؟؟! حلو أوي ده!.. حلو أوي الواحد أما يزهق يمشي على طول، أنا برضو زي حضرتك كده، ساعات كتير أزهق.. بس ما أقدرش أمشي، لو مشيت .. القطارات تخش في بعض، أنا لو زهقت ..أتسجن! عارفة.. في ناس كتير تزهق بس ماتقدرش تمشي، تموت وهي زهقانة.. أنا واحد منهم».

فيه ناس فعلًا مابتعرفش تمشي، وعلاقات كتير بتموت إكلينيكيا بسبب الزهق.. دخلنا الدايرة، نخرج منها إزاي؟!.

***

لما اتفتح التحقيق في جريمة قتل «رونالد» ومين اللي أطلق الرصاصة اللي خرجت من الدور التاسع واستقرت في جسمه علامات التعجب والاستفهام زادت أكتر وأكتر.

رجل عجوز كان بيتخانق هو ومراته زي كل مرة بيتخانقو فيها.. وكل ما يمسك المسدس ويهددها إنه هيقتلها والخناقة تخلص على لا شيء بقالهم سنين على هذا الحال.. ولسوء حظ «رونالد» المرادي ضغط على الزناد وخرجت الرصاصة والرجل العجوز بيقسم إنه عمره ما عرف إن المسدس فيه رصاص من الأصل.

والرصاصة طبعا تجاوزت السيدة العجوزة وخرجت من الشباك عشان تستقر في رأس «رونالد» وتاخد روحه قبل ما يقع على شبكة الإنقاذ اللي كانت في الدور التامن.

طيب لحد هنا وعلامات التعجب والاستفهام خلصت؟؟ أكيد لاء.. بقول لكم أغرب قضية انتحار في التاريخ.

***

دخول دايرة الزهق والملل إجباري .. ما حدش بيسلم منه، لكن الحقيقة إن خروجه منها اختياري بحت، وده ليه طرقه الكتير قوي.

كن تافهًا إذا لزم الأمر.

اتجنن.

سيب المسؤلية العملية المرتبطة بالشغل أو بأي حاجة تانية واهرب منها للهزار..

ناكف فيها.. غنّي لها حتى لو صوتك وِحِش.. اتصرف كأنك طفل، لحد ما تلاقيها بتقولك: «والنبي أنت رايق»..

وصلت للمرحلة دي؟ اعرف إن Curve الملل هيقلّ، وهتلاقي نفسك عندك شغف تاني، كأنك بتحبها وبتكتشفها من أول وجديد.

الموضوع ساذج .. الموضوع بسيط .. لكنه ساحر.

فيه مشهد في مسلسل «جراند أوتيل»، بين سوسن بدر ومحمود البزاوي، في أول المشهد بيقول لها: «غمّضي عنيكي.. وهي بتستنكر الطلب جدًا وبترد عليه بلهجة قاسية وبتعنّفه، وبعد كده بتسأله كنت عايزني أغمّض ليه.. ويضحك هو.. ويكملوا كلام لحد ما يقول لها:

«بالمناسبة حكاية غمضي عنيكي دي كان ليها علاقة بإن فيه رمش على خد من خدودك، كان نفسي تغمضى عنيكي وتتمنى أمنية بس ماحصلش».

فترد عليه وتقول له: «إيه الكلام الفارغ ده!».. فيبصلها وهو مبتسم ويقول: «أحيان كتير بنحتاج الكلام الفارغ ده».

***

الراجل العجوز اللي ساكن في الدور التاسع اتوجهت له تهمة القتل بسبب الرصاصة اللي قضت على «رونالد»، وفضل العجوز يقنعهم طول التحقيق إنه عمره ما عرف ان المسدس فيه أي رصاص .. لحد ما واحد قريبه جه وحكاهم في التحقيق إنه شاف إبنه وهو بيحط رصاص في المسدس .. وان الإبن ده كانت أمه قطعت عنه المساعدات المالية .. وبدأت القصة توضح شوية.

الراجل العجوز ده وزوجته بيتخانقو بشكل مستمر .. كل مرة يهددها فيها بمسدس فاضي .. إبنهم على خلاف مستمر معاهم .. قرر ينتقم منهم ويتخلص من الاتنين في وقت واحد عن طريق إنه يحط رصاص في المسدس على أمل إنه في مرة من المرات هيقتل والده والدته بالخطأ فتموت هي ويُسجن أبوه.

واضطرو في التحقيقات بعد المعلومات الجديدة إنهم يوجهو

تهمة قتل المسكين «رونالد» لإبن الراجل العجوز .. عشان تتفجر علامة التعجب الأخيرة .. وهي إن الإبن ده كان هو نفسه «رونالد» اللي مل وزهق من حياته ومن فشله قرر يتخلص من أبويه بحكاية المسدس دي .. لكن كان من الواضح إنه حتى مل من انتظار خناقتهم الجديدة فقرر ينهي حياته وينتحر .. عشان يموت في النهاية برصاصة هو اللي حطها بنفسه في المسدس.

***

التفاصيل الصغيرة اللي وقعت مننا في زحمة الدنيا مش مجرد إكسير للحياة بين الاتنين .. التفاصيل دي هي كل الحياة .. إنت أصلا حبيت إنسان من البداية عشان تفاصيله الصغيرة دي .. عشان ضحكته وابتسامته وشكله وهو حزين وحركة إيده وهو بيغضب ويزعق .

دوشة الالتزامات.. سلاح ذو حدين .. ينفع تكون دافع للهروب من ضغوطها للتفاصيل الحلوة اللي بتكمل بيها الحياة .. وينفع تكون وسيلة ضغط على الطرف التاني وعلى العلاقة نفسها .. وكله اختياركم من البداية للنهاية .. وقراركم وبتتحملو مسؤوليته.

الوقار شيء وإنك تتصرف على طبيعتك شيء تاني.. يعني مش هيقلل منك أبدًا إنك تتجنن مرَّة أو اتنين وتعمل حاجة

ماعملتهاش من وانت طفل لمجرد إنك تشبع رغبة داخلية أو تفرغ طاقة مكبوتة جواك.

مش هنسى منظر ناظر المدرسة وهو واقف ينطط الكورة بمنتهى الحرفنة وكأنه عنده عشرين سنة.. العالم ما اتهدش.. نظرتى له ما اتغيرتش، ولو نظرتي له اتغيرت يبقى المشكلة في عنيا.. بمعنى أصح: فيه شعره بين إنك تكون راجل وقور، وإنك تكون راجل «خنقة».. وده مفتاح الدايرة اللي إحنا دخلناها!

بالمناسبة قصة انتحار رونالد دي في ناس بتقول إنها مش حقيقية وانها اتناقشت بس في موضوع له علاقة بالقضايا الغريبة والتحقيقات.. لكني بحب أصدقها واتعامل معاها على إنها حقيقية جدًّا.. لأن الملل يعمل أكتر وأغرب من كده.

***



«تَعِبَتْ من السفر الطويل حقائبي..

وتعبت من خيلي ومن غزاوتي»

نزار قباني/ قصيدة الرسم بالكلمات



الخيانة

من الطبيعي إن الواحد أول ما يتكلم عن الخيانة في العلاقات أول حاجة تيجي في باله «حازم».. النسوانجي في فيلم السلم والتعبان .. وفتحي عبد الوهاب في فيلم «سهر الليالي»

الخياة.. أقذر الصفات الإنسانية وأكثرها ضررا على الإنسان نفسه وعلى كل اللي حواليه.

بأي حق تدوق كل اللي في التلاجة لحد ما تلاقي حاجة تعجبك فتقرر إنك تاكل منها لحد ما تشبع؟ وبأي حق تسرق كل اللي في الفترينة لحد ما تلاقي حاجة على مقاسك بالملي.. وتقول هي دي!

فيه أسطورة يونانية قديمة بتحكي عن حدّاد اسمه «بروكرست»، كان بيعزم الناس تبات عنده، ويحطهم في سرير معين، واللي طوله يزيد عن السرير يعملّه بتر، واللي طوله يقل يشد أطرافه لحد ما تتقطع.

الأسطورة بتحكي إن بروكرست لاقى نفس المصير اللي كان بيخضع ضحاياه ليه بإن الأمير « ثيسيوس « خلاه ينام على سرير أكتر منه طولاً ويقطع رأسه.

بعيدًا عن مصداقية الأسطورة، أنت لما بتدوّر مش بتكون من البداية بتدوّر على حد يكملك؟!.. إذا فأنت عندك إيمان إن عندك جزء ناقص.. كذلك هي.

«من ابتغى زوجة بلا نقص عاش أعزب»

(محمد متولي الشعراوي)

بمعنى أصح: ماتفضلش تاكل من الشارع لحد ما معدتك تتعبك، وتقرر فجأة إنك تاكل أكل بيتيي، وماتستناش منها إنها وثقت فيك بنسبة كاملة.

تخيل مراتك أو حبيبتك بتكلم حد في التليفون متأخر لأي سبب، أو نزلت خرجت مع حد من غير ما تعرف، أو طلبت من راجل يبعت لها صوره.

تخيَّل حتى إنها بتفكر في راجل تاني مجرد تفكير عادي، وإنك مفروض تستحمل كل ده عشان البيت والأولاد.. والكيان اللي اتبنى بيك وبيها..

مين فينا يقدر ينسى فتحي عبد الوهاب في سهر الليالي وهو بيقول:

«أنا دمي بيجري فيه كور حمرا وبيضا ونسوان»

ومين فينا ينسى منى زكي وهي بتقول له:

« كفاية بقى.. كان أنت.. كان صوتك.. كان صوت نفسك وأنت نايم مع واحدة»

***

المشكلة إن ده بيبقى طبع، حاجة مابتتغيرش، فيه ناس مقتنعة طول الوقت إن «امرأة واحدة لا تكفي».. آه بيحبها هي.. وهي اللي في قلبه.. بس ده مامنعوش أبدًا من نزواته.. النوعية دي من الناس بتفضل عايشة حياتها.تندم بالسنين على غلطات اتعملت في دقايق.

لكن في أنواع تانية من الخيانة في العلاقة الكتاب نفسه لا يسع لمناقشتها وحصرها.

موضوع الخيانة ده أكبر من الكلام.

اهتمامك بنفسك على حساب بيتك وزوجتك وحبيبتك خيانة .. اهتمامك بشغلك نفسه على حساب نفسك خيانة ليك انت .. إهمالك لمشاعر اللي بيحبك لمجرد إنك أخدته بضمان نهائي طول العمر انه ليك انت لوحدك خيانة.

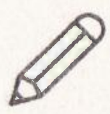
كدبك وأنت بتقول إنك مش زعلان وأنت من جواك زعلان خيانة للعلاقة نفسها .. لأنك بعد كده هيجي وقت وتحاسب الطرف اللي قدامك على فاتورة تراكمات ومخزون غضب هو مالوش ذنب فيه.

وكدبك وأنت بتغلط اللي قدامك وأنت اللي غلطان .. وهو بيصدقك بس عشان بيحبك .. ده من أسوأ أنواع الظلم، الخيانة.

الخيانة داء مالوش دوا غير إنك تكون إنسان من الأول .. ومجرد وجود الخيانة في حياتك.. اعرف إنك مش إنسان.

وبرضو مجرد قبولك للحياة مع إنسان خاين في نفس الوقت.. شيء بينقص من إنسانيتك واحترامك لنفسك قبل أي حاجة تانية.

***



«في حياة كل منّا وهم كبير اسمه الحب الأول.. لا تصدق هذا الوهم إن حبك الأول هو حبك الأخير»

إحسان عبد القدوس

القَدَر هوَّ اللي سَاب

كلنا بنحلم بحدوتة معينة.. عايزين نعيشها بالتفصيل أو حتى بتفاصيل قريبة من التفاصيل اللي اتخيلناها.. المشاعر اللي بنشوفها في الأفلام.. والقصص اللي بينزل عليها كلمة النهاية.. النهاية اللي ماتنفعش تبقى أي حاجة غير إنها تبقى نهاية سعيدة.

وأنا صغير ووقت ما فيلم «الآخر» نزل، كنت مستغرب إزاي البطل والبطله ماتوا؟!

اتعقدت من أفلام يوسف شاهين اللي معظمها انتهى نهايات مفتوحة.. ممزوجة بعلامات استفهام وعلامات تعجب.

عمري ما هنسى ولاد خالتي الكبار لما خرجوا من فيلم «العاصفة» بيضحكوا ويسألوا فين باقي الفيلم..

السناريو النمطي السائد وقتها إن مفيش حاجة اسمها ظروف فماكانش فيه حاجة اسمها فراق..

زمان كانت كل الحواديت اللي بسمعها قبل ما أنام بتنتهي إن البطل والبطلة بيتجوزوا ويعيشوا في تبات ونبات ويخلفوا صبيان وبنات.

منطق النهاية الحزينة أو القدرية كان معادلة دماغي ما بتترجمهاش وما بتعرفش تفك شفرتها.

كبرت لقيت الحواديت اللي بفكر فيها قبل ما أنام مالهاش نفس النهاية.. وإن فيه شماعة مهمة في دولاب ذكريات أي حد فينا اسمها «الظروف».. بيعلق عليها صور وتفاصيل كل الناس اللي ماقدِرش يبقى معاهم لأسباب خارجة عن إرادته.

خصوصًا أول حدوته.. سِحر الـ «أول مرَّة».. مع سحر البدايات، بيخلوا مراية الحب عامية بشكل استثنائي.. فتبدي ترسم وتتخيل حياة كاملة وانت أصلًا مابدأتش تعيش.

بتطير لفوق أوي وتنزل على سابع أرض، وتكتشف إن الحدوتة مابتحصلش في الواقع غير بنسبة تكاد تكون معدومة، وإن حدوتة «الحب الأول» أجمل أسوأ حدوتة ممكن تمرّ بيها.

«عارفة حدوتة الحب من أول كل حاجة دي. اللي هي أول كلمة بحبك بتقوليها وانتي حسّاها، وأول مَسكة إيد بتقشعر الجسم كله، وأول بوسة بتحسي بيها إنِّك مَلكتي الكون كله، الحدوتة اللي دايمًا بتخلص بماينفغش دي». فيلم عن العشق والهوى

لازم ربنا يسيبك تقع عشان تتعلم تقوم، ودي أول مرة «القدر بيسيب فيها»

قلب أي واحد فينا ممكن يكون زي الـ «ميموري كارد».. بس الفرق إن فيه ملفات مابتتمسحش، بتاخد جزء من مخزوك وطاقتك وتفضل جواك.. حاجات كده مكتوبة بالجاف.. لا هتروح ولا هتعرف تشخبط عليها.

في الدنيا للأسف مفيش Corrector؛ لذلك أنا بعتبر أول حدوتة هي مجرد حقن بمصل ضد فايروس الصدمة.. لمجرد إنه لما يحصّلك بعد كده.. تقدر تتعافى.. على اعتبار إن القلب جسم جوة الجسم بيشكّل مناعة ذاتية ناحية أحداث معينة..

أمي قالتلي قبل كده: فكرتي عن الموت قبل وفاة جدك كانت مختلفة.. كنت بزعل وبتأثر.. وبتخض من الموقف.. بس كلها خدوش مش كسور.. لذلك مهما اتحكى لك عن حواديت ناس اتفارقت أو ناس اتجرحت أو ناس اتصدمت، فيه ناس مش هتتعلّم غير لو جربت.. خصوصًا إنك أنت نفسك، مهما حذروك مابتسمعش كلامهم.. وبتروح ورا خيط الدخان اللي بيجرجرك لنار بتحرق كل حاجة جواك.

بس أنا اتعلقت واتسَببت واتبهدلت وعشت حدوتة الحب الأول دي.. واتصدمت.. مش كفاية دروس لحد كده؟!!

ليَّ واحد صاحبي.. قريب منّي جدًّا.. كلمني عن بنت سورية جت تدرس في مصر.. اتعلق بيها واتعلقت بيه بس من غير ما حد يقول أي حاجة للتاني.. وفي يوم سافرت وقالت لصاحبتها توصّل له رسالة مضمونها: «إنها كانت بتحبه جدًّا، وإنه الوحيد في العالم اللي لمس قلبها«..

اتقابلنا وحكى لي اللي حصل وكان زعلان أوي إنها سافرت فجأة، وإنه عارف إنه مش هيشوفها تاني.

بعدها بكام يوم.. وصل له خبر غرق السفينة اللي كانت عليها.. قالي بالحرف الواحد: «بركات وبدور في المولد»

نـزل يـدوَّر عليهـا في كل حتـة.. أي خـبر.. أي حـد يقولـه إنهـا لسـه عايشـة.. راح زار والدهـا وقتهـا لقاهـا سـيباله حاجـة زي «دبـدوب صغـير».. كان معاهـا من وهـي طفلـة، وكانـت محتفظـة بيـه وعزيـز عـلى قلبهـا لدرجـة إن والدهـا كان مسـتغرب هـو مـين عشـان تديلـه حاجـة بالخصوصيـة دي.. بـس مـش ده الغريـب.

الغريـب إنـه قـال لي إنـه ليلـة وفاتهـا تقريبًـا أو قبلهـا بيـوم.. حِلِـم بيهـا وحِلِـم إنـه بيسـلم عليهـا لآخـر مـرة، وإنهـا في مـكان أحسـن بكتـير.. حاجـة كـده ماحـدش يقـدر يفسرهـا..

درسـت في الفلسـفة زمـان فكـرة إن الإنسـان مُخيَّر أم مسيَّر؟!.. وسـمعت كلام مـن «الجهميـة» ومـن «المعتزلـة» وماكنتـش مقتنـع لحـد مـا سـمعت كلام الإمـام محمـد عبـده الـلي كان مبنـي عـلى إن فيـه عالمـين لـلإرادة.

«عـالم الإرادة الداخـلي».. الـلي هـو مثـلًا إنـك ذاكـرت المنهـج كلـه واسـتعديت كليًّـا للامتحـان.

«عـالم الإراده الخارجـي» والـلي هـو إنـك تعمـل حادثـة وأنـت رايـح الامتحـان فمجهـودك يضيـع.

وهنـا بنخـرج عـلى دايـرة كبـيرة أوي اسـمها القضـاء والقـدر.. الـلي هتودينـا عـلى دايـرة الرضـا.

الشيخ الشعراوي ضرب مثل حلو أوي عن الموضوع ده وقال: «لما تحب تعلّم ابنك حاجة ويغلط وتعاقبه، وتلاقيه حَس بغلطه واستجاب، بتحتويه.. طب وإن تنَّح؟!.. مسلسل العقاب بيستمر.. لذلك النبي قال «إنما الصبر عند الصدمة الأولى».

جوازات كتير ما اكتملتش بسبب تعسف الأهل، بسبب الظروف المادية، بسبب فروق السن.. والفراق هو الفراق مهما كان السبب.

المهم يكون سبب حقيقي مُرضي للطرفين خلاهم يتفارقوا باحترام متبَادَل وبرضا تام وقناعة تامة إن ده أحسن حل.

أو يفترقوا وجوّاهم وجع مبني على إن كل شيء قسمة ونصيب ودي إرادة ربنا وماحدش يقدر يغيّرها.

فيه جملة بتقول: «اللي عايز يفضل معاك بيفضل مهما حصل».. وده مش صح لأن فيه ظروف جبرية فعلًا.. الجملة دي صح في حالة واحدة بس: لو اللي قدامك عنده فرصة للاختيار ولو حتى بنسبة ١٪.

وفي حاجة تانية بيسموها ظروف.. بس دي أنا بسمّيها شمَّاعة الوهم مش الظروف.

الحِجج الفارغة، والعلاقات اللي بتنتهي بسبب أنانية طرف ما، أو إحساسه إنه اتورَّط في علاقة وكِبِرِت منه فحَب يخلع من الموضوع قبل ما يزوّد الطين بلَّة.

العلاقات اللي بتنتهي من غير خِطة انسحاب، وتفرق كتير أوي «بإن حد يقولك أنا مش هكمل بالشكل ده».. وبين حد يقولك: «أنا مش عايز أكمل».. اللي بيهددك إنه يمشي هو مجرد واحد عايزك تمسك فيه وتقوله استنى وتعرَّفه إنك بتحبه..

اللي عايز يمشي فعلًا بيمشي على طول، مابيهتمش بقى أنت هتتكسر وألّا حياتك هتقف شوية ولا أي حاجة.. بيبقى كل همه إنه ينهي العلاقة دي ويرجع لحريته.

لكن ممكن يخترع حجة أو سبب من اللاشيء عشان يمشي.

ودول بقى اللي ينطبق عليهم جملة أحمد ذكي في فيلم الحب فوق هضبة الهرم:

«كلّهم كدابين وكلّهم عارفين إنهم كدابين وكلهم عارفين إننا عارفين إنهم كدابين، وبرضو مُستمرين في الكدب.»

وبين دول ودول، أنت بتتعلم على أدّ ما بتتوجع.. وبتعرف إن الدنيا حلوة بس مش زَي الأفلام.. وإن يوسف شاهين كان عنده حق في أوقات كتير.

***



«الحب للشجعان.. الجبناء تزوجهم أمهاتهم»

نزار قباني

خوف

تـلات حـروف بيتحكمـوا في مصـير البشريـة، وأنـا قصـدت أقـول الكلمـة مـن غـير «الـ».. عشـان دايـمًا الخـوف بيكـون غـير معـرَّف.. وغالبًـا النـاس بتكـون خايفـة وخـلاص.. يـا إمـا خـوف مـن حاجـة يـا إمـا خـوف عـلى حاجـة.

خـوف مـن المـوت.. الوحـدة.. الالتـزام.. التعلـق.. الخسـارة والفقـد.. ضيـاع شيء معـين أو فرصـة معينـة.. خـوف مـن المستقبل.. وخوف حتى من نفسك.. وده خوف غير ظاهري.. بيتحبـس جـواك وبيتراكـم وبينتـج عنـه هـروب واكتئـاب غالبًـا مابتبقـاش عـارف سـببه إيـه.

وده يفرق كتير عن الخوف الظاهري، زي الخوف من المرتفعات أو خوف الأماكن المغلقة، الخوف من الظلام، اكتئاب ورهبة الشتا، وفوبيا الكلاب.. القايمة طويلة جدًّا طبعًا وتحتاج كتاب لوحده عشان نسردها بس.

بمناسبة فوبيا الكلاب دي، أنا شخصيًا كنت بترعب من الكلاب بشكل مبالغ فيه جدًّا، وفاكر مرَّة كنت راجع متأخر وبتمشى مع «أحمد العايدي».. وفجأة ببص قدامي لقيت حوالى ١٠ كلاب قدامنا، أحمد بصلى وقال لي:

- بتخاف من الكلاب؟

فحاولت أداري خُوفي بشكل ساخر وقُلت له:

- على حسب ، أكيد في موقف زي ده هخاف.

ساعتها «العايدي» كان في إيديه استاند الكاميرا، قفله وبقى على شكل عصاية وقالي بمنتهى الثقة: «طب يبقى كلب فيهم يقربلك».

ساعتها استغربت جدًّا، خصوصًا إن لو ده حصل فالموضوع شِبه محسوم.. كلبشت فيه ومشينا.. مستني الكلاب تقرب أو تاخد موقف من الشخصين اللي معديين دول.. ولا حياة لمن تنادي وكأننا شبحين ماشيين.. بعدها بكام شهر واحد صاحبي اشترى كلب وكنت هايب الموقف في الأول وبعد كده ابتديت اتعامل معاه عادى وتقريبًا كانت العقدة اتفكت.

ممكن جدًّا تخاف على شخص.. على شيء.. على مكان اجتماعي أو منصب سياسي.. أو رصيد في البنك.. وطبيعي جدًّا إنك تخاف، وكل واحد بيخاف على أدّ اللي عنده، وخوفك على الأشياء ممكن يبقى سبب أساسي إنه يضيَّعها منك.

خدت بالك إن خوفك إن الموبايل يتكسر ممكن يكون سبب إنه يتكسر فعلًا.. زيك زي الدبة اللي قتلت صاحبها من كتر ما كانت بتحبه وخايفة عليه.. زَي القطة اللي بتاكل ولادها لسبب غريزي متعلق بخوفها عليهم.. أو لعلمها إن فرصتهم في النجاة شِبه معدومة فبتاكلهم بمنطق «رصاصة الرحمة» اللي بتريحهم بيها من الألم اللي هيواجهوه في طريقهم للموت من غير حتى ما تسيبلهم فرصة إن حظهم يكون أحسن وربنا يكتب لهم النجاة، وده اللي بقينا بنعمله في نفسنا وفي اللي بنحبهم أوقات كتير ومن غير ما نحس أو ناخد بالنا.

لما بتتأخر برة، والدتك بتتصل بيك عشان خايفة، جايز بيبقى صوتها صوت عتاب مش خوف، لكن اتصالها سببه الوحيد هو غريزة الخوف والمسؤولية.. أبوك بيتصل عشان يعاتبك ومراتك بتتصل عشان فاكراك بتعمل حاجة غلط.

والدتك خايفة عليك ككل، عايزة تعرف أنت فين وكويس وألّا لا.. وأبوك خايف تتعود على كده وتتجرجر لناس ولسكك متعرفش تخرج منها.. ومراتك بتتصل عشان خايفة على اللي بينكوا أو خايفة تكون مع واحدة تانية مثلاً.. وكله خوف..

وكله زي ما ممكن يساعد ويبني.. سهل يعقّد ويهدم.

نفس الشخص ونفس الحدث بس وجهات النظر مختلفة.. كل واحد بيخاف عليك من زاويته.

طول عمري بحب البحر جدًّا.. بس مابنزلش الميَّه.. ولا بجرب حتى فأنجح أو أفشل.. بفضَل أراقب الناس اللي بتستمتع من بعيد.. بحسرة العجبة اللي في إيد اليتيم.. عايز أنزل بس خايف، مع إني عمري ما اديت البحر فرصة إني أجرب وأعرف هو فعلاً بيخوف وألّا لأ..

زَي اللي قافل صندوق عشان خايف يطلع فاضي، فبيقنع نفسه إن جواه حاجة.. وحاجة مهمة جدًّا، وبيفضل قافله عشان ما يضطرش يواجه حقيقة إنه فاضي.. وده من أخطر أنواع الخوف.. الخوف من الحقيقة.

« شريف كان مرة قال لي لما تشوف منظر مرعب إوعى تقفل عنيك لأن اللي هتشوفه في خيالك أفظع من الحقيقة بكتير.. أحسن حاجة تعملها إنك تقرَّب وتلزق وشك.. ساعتها بدل ما هتشوف صورة تخوف هتشوف تفاصيل.. نقط.. حروف لوحدهم مايعملوش حاجة إنما لو رتبتهم صح هتشوف الحقيقة كلها »

فيلم فتح عنيك ٢٠٠٥

***

خد ال risk في كل حاجة حتى لو هتخسر، حتى لو هتحصل نتايج سلبية مش عاوزها تحصل، هتصدقني بعد ما تجرب.. متعة الشجاعة في المحاولة بتغطي دايمًا سقف الخسارة في التجربة.. كده كده هتخرج مبسوط من اللعبة سواء كسبان أو خسران.. لأنك بشجاعتك حوّلت الرهبة من التجربة وبمنتهى الذكاء للعبة مسلية.. ومفيش لعبة بتخوف بجد.. حتى لعبة بيت الرعب نفسها في دريم بارك.. خوفها مزيف واختياري.

بمنطق «قد فاز باللذات كل مغامر».. بس لازم تعرف الفرق بين المغامرة والشجاعة، وبين الارتماء في التهلكة.. خليك شجاع بس بعقل.. احسبها صح ماتجازفش غير لو عندك أمل، وماتنسحبش طول ما الأمل موجود

زَي الجون اللي بيتقدم في آخر دقيقة على أمل إنه يجيب جون يغيّر سير الماتش نسبة حدوث ده بسيطة.

***

حاول تكون دايمًا الواحد اللي بيعمل الفرق في شغلك أو في دراستك.. في عيلتك.. مش شرط تبقى أحسن واحد أو أهم شخص.. المهم تكون بتلمع.. وظاهر.

ولازم تعرف إن الجبان دايمًا مطفي.. ولازم تعرف برضو إن الكترة تغلب الشجاعة.. شجاعة من غير عقل تهوُّر، وعقل من غير شجاعة خسارة.

***

من حقك تحب وتختار، وماتقبلش إنك تكمل حياتك مع شخص اتعرض عليك وأنت استسلمت للأمر الواقع ورضيت.. قلبك دايمًا بيشوف الحقيقة وأنت أدرى واحد بمواصفات الشخص اللي ينفع يشاركك حياتك.. من حقك تحب وتقول «أنا بحبك» حتى لو اللي بتحبه مش بيبادلك نفس المشاعر.. أديك ارتحت وعرفت.. خسرته آه بس كسبت نفسك.

من حقك لما تكره تقول، أنت مش مضطر تحتفظ بالناس اللي مابتحبهاش في دايرة علاقاتك وتفضل طول الوقت راسم ابتسامه مزيفة من باب الإتيكيت.

من حقك تقول كل اللي جواك زَي ما هو، وبدون أي خوف أيًا كانت النتيجة، صدقني اللي الخوف هيستهلكه من روحك بمرور الوقت، أكتر بكتير من اللي الشجاعة هتخسّر هولك على مرة واحدة.. ده مع العِلم إن عدم معرفتك أصلًا باللي يناسبك أو ما يناسبكش هو أكبر أنواع الخسارة.

الخوف مراحل ودرجات وأنواع وحاجات كتير أوي، لكن لو سألتني عن أكبر خوف بالنسبة لي، فهو الخوف من الالتزام.

الخوف من الالتزام.. من الحبل اللي بتلفه حواليك.. من الناس اللي بتشيلها على كتافك وتمشي.. من المسؤوليات اللي مابتخلصش والطلبات اللي مابتنتهيش.

عمرك سألت نفسك ليه أبوك مضطر كل يوم يصحى الساعة ٨ يروح شغله ويجي.. ويكرر ده يوميًا قُدّام عنيك، عمرك فكرت هو بيعمل ده بناء على إيه؟!

عمرك سألت نفسك ازاي أمك بتصحى كل يوم تهتم بكل تفصيلة صغيرة في البيت إلى جانب شغلها لو بتشتغل.. عمرك سألت نفسك ازاي فعلًا الناس دي مربوطة في ساقية الروتين بالشكل ده.. وإزاي فيه جوازات بتستمر لمجرد إن في أطفال.. حتى لو الاتنين خلاص بطلوا يحبوا بعض.

فكرة «البيت» نفسها.. فكرة صعبه جدًّا.. لأنك بمجرد ما بتدخل الكيان ده وبتبني أسرة بيبقى من الصعب إنك تنسحب من المشروع وتاخد مشاعرك ونفسك وتمشي.

فيه مشهد مهم أوي للعبقري الراحل أحمد زكي في فيلم اضحك الصورة تطلع حلوة، لما راح لكريم عبد العزيز يوم فرحه وهو بيتجوز بنت غير بنته.. بعد ما وعدها بالجواز وضربه بالقلم، وقال لما اتهموه إنه بيخرف وبيقول أي كلام:

«أنا مش كداب هي العقود عندكوا ورق وبس.. حضراتكوا بتاخدوا قرارات بملايين الجنيهات في كل مرّة بتمضوا عقد وألّا الكلمة بتبقى عقد.. العقد مابيعملش الحقيقة العقد بيثبتها بس.

كلمة أنا بحبك عقد!!. اللمسة عقد.. النظرة عقد.. الوعد بالجواز ده أكبر عقد».

الكلمة اللي بتقولها وبناء عليها فيه طرف تاني بيستنى مقابل معين.. سواء مشاعر عطاء أو تضحية.. سواء اهتمام أو قلق.. الكلمة اللي بتكون أساس أي علاقة..

نزار كان بيقول في قصيدة «صباحك سكر» ..

فحين أنا لا أقول أحبك فمعناه أني أحبك أكثر..

إحنا مش محتاجين نقول لبعض إننا بنحب بعض أدّ ما محتاجين طول الوقت نتصرف على أساس الكلمة دي.. مفيش أسهل من إنك ترمي الكلمة كأنها قنبلة موقوتة وتمشي..

«في لحظة طيش غلطت وقُلت بهواكي»

أغنية يمكن كتير مايعرفوهاش، كلمات عادل سلامة وألحان وغناء ياسر مغربي.

بيتكلم فيها عن واحد رمى القنبلة جنب واحدة ومشي.. وفي نص الكلام قالها:

ماحبتكيش ولا حاجة

لكن جيتلك كما المشتاق

ما أنا أصلي بقالي كتير

ماعيشتش عيشة العشاق

دي كلمة وقُلت أجربها

و جت فيكي»

وده لأن فعلًا الاحتياج بيخليك تروح على أي حد بيشبع رغباتك دي.. ويتهيألك إنه «الخلاص».. وإنك بتحبه، وإنه آخر فرصة عشان تكون سعيد في حياتك.. فبتبدي توعد، وتمضي عقود شفهية طول الوقت.. بس بعد فترة الصورة الأصلية للعلاقة بتظهر، ويبيان الفرق بين الحب الحقيقي وحب التعود اللي كان مبني على احتياجك لفكرة الحب نفسها.

علاقه فيها طرف لازم يتكسر نتيجة فسخ العقد.. طرف طالع خسران.. وطرف طالع شايف نفسه عمل الصح.. لأن المصارحة بالحقيقة اللي توجعك، أحسن من الاستمرارية في الكدب اللي يخليك عايش في وهم كبير.. خصوصًا إن كل حاجة ممكن تتزوّر إلا المشاعر.

تلاقي ناس طول الوقت خايفة من الفكرة نفسها.. مرعوبة من «شبح» الالتزام؛ فتلاقي ناس بتفكر ألف مرَّة قبل ما تاخد خطوة الجواز.. معقول خلاص هقضي حياتي كلها مع الشخص ده؟!

هل أنا فعلًا اخترت صح؟!

هل ممكن رأيي يتغير بعدين؟؟.. هل وهل وهل.. وأسئلة كتير ماهاش عدد بتيجي في دماغك أول ما بتحس إنك خلاص هتعيش مع الشخص ده بقية حياتك مهما كنت بتحبه.. هتلاقي عندك نسبة خوف من الربطة نفسها.

فتلاقي الرجل خايف مايبقاش أدّ وعوده.. وتلاقي برضو الست خايفة إن الراجل مايبقاش قد وعوده.

الموضوع بسيط.. مش معقد.. ماتوعدش حد غير وأنت أدّ التزامك بالوعد ده.. تجنب الخوف بمصارحة نفسك بقيمة العلاقة عندك ومكانها الحقيقي جوة عقلك وقلبك.

ماحدش هيضربك على إيدك عشان تلتزم بأغلى كلمة إنسانية، لكن أنت اللي هتضرب نفسك مية مرّة بعد كده لو خرجت من لسانك بدون إحساس ومسؤولية.. وهتعيش خايف طول عمرك.

قبل ما توعد حد وتمضي معاه عقد شفهي بناء على اللي بتقوله.. خد بالك لأن كل سطر خارج من لسانك بند.. هتبقى ملتزم بيه بعدين.. ده لو أنت بتتعامل مع نفسك على إنك إنسان محترم طبعًا.

***

خُبز أميّ

أوقات بحِسّ إن الستات عندهم قدرات خاصة مابتظهرش غير لما بيبقوا أمهات.. وكأن حجم الذاكرة المؤقتة بيتضاعف، وبتتحول من غير ما تحس لـ multi task mind..

عمري ما كنت بستغرب إزاي أمي بتكوي هدوم أبويا وهي سايبة الأكل على النار، وبتنادي على أختي تصحيني في الوقت اللي بتطلب فيه من أخويا إنه يقلل صوت التلفزيون عشان أبويا نايم..

كل ده بيحصل في ثواني.. بمنتهى السلاسة.. كأنه شيء عادي.. عقلها دايمًا مرتب كل حاجة؛ فتلاقيها عارفة إمتى معاد دوا جدتي وإمتى هتاخد أخويا الصغير من المدرسة..

سعر الطماطم النهارده، والمسلسل في الحلقة الكام، ومكان أي حاجة في البيت من الإبرة للصاروخ،

مين ينسى جملة «وإن جيت وجبتها لك»؟!..

شيء مش منطقي، ازاي عقلها بيسجل الكلام بالتفاصيل الدقيقة دي.. لدرجة إنها ممكن تعيد لحد كلام قاله لمدة ساعة ونُص بالحرف.. ممكن من نظرة واحدة تعرف كل البنات اللي في الفرح بتاع امبارح بنات مين في العيلة.. وكانوا لابسين إيه..

أمي اللي بتبقى مهدودة طول اليوم وتقوم تحضّر عشا، لمجرد إنها مش هاين عليها حد ينام جعان..

أمي اللي ممكن ألاقيها طالعة السلم وفي إيديها أكياس ماهاش أول من آخر بمنتهى الحرفية.. نسبة كبيرة من الرجالة بما فيهم أنا، مابيعرفش يشيل الأطفال اللي لسه مولودين.. في الوقت اللي بتلاقي فيه الست شايلة الطفل وبتتعامل معاه بفطرة مش طبيعية في كل تفاصيل حياته.. في الوقت اللي أنت فيه مش عارف تشيله حتى.

أحمد رمزي كان بيقول إن الراجل اللي يحب يحافظ على كرامته ويعيش برنس لازم يتعلّم يطبخ كويس..

ما أقدرش أنكر إن أعظم شيفات العالم رجالة، بس برضو أقدر أقول إن أمي بتعمل أحسن طبق رز في العالم، وإن حتى

محمود درويش لما كتب عن الحنين بدأ كلامه بـ «أحِن إلى خبز أمي»..

الحاجة اللي بتتعمل بحُب تفرق كتير عن الحاجة اللي بتتعمل بشطارة، عشان كده فيه حاجة اسمها «النَّفَس».. ده اللي بيخلّي عمتي بتعمل أحلى فنجان قهوة بشربه.. رغم إني بستخدم نفس المقادير بس عمري ما بلاقي نفس الطعم.

ده اللي بيخلي دايمًا للست سِحرها.. وتأثيرها.. الراجل ممكن لو جاله دور برد يرقد أسبوع في البيت مش بيشتغل.

والست ممكن يبقى عندها cancer ونازلة تجيب الولاد من المدرسة، ماتفهمش ازاي ربنا مديهم القدرة اللي تخليهم بالقوة دي، وأول ما تشخط فيهم يعيطوا، وأول ما تشوف دموعهم ماتقدرش تقاوم اللي بيحصل فيرق قلبك في لحظة.. وكأنك بتنفّذ جملة قالها شكسبير بالحرف الواحد

«عندما تبكي المرأة تتحطم مقاومة الرجل»

والعكس بيحصل معانا كرجالة أول ما تضعف أنت وتعيط، تلاقي حبيبتك اتحولت لأم واخداك في حضنها، وبتسحب حزنك كله بسرنجة وبتحقن نفسها بيه مكانك،

أكيد اللي اخترع كلمة «إن شالله أنا» كانت ست اتحطت في موقف زَي ده.

إحنا كرجالة.. ملناش طلبات غير إننا ناكل كويس ونلبس كويس ونلاقي اللي تسد احتياجاتنا العاطفية من غير ما تدوَّر ورانا.. أو تعيّشنا في دوامة شك.. لأنها هتسحبنا احنا الاتنين لطريق نهايته سد..

إنما عشان تملا فراغ في حياة ست.. فأنت لازم تكون أبّ.. وصاحب وزوج وحبيب وابن وأخصائي نفسي، وميكانيكي وكهربائي..

بتفهم في الموضة، والمزيكا والشعر، وقريت في الأدب اللاتيني، وشُفت كل الأفلام اللي هي بتحبها لزوم الإفيهات، وتكون بتعرف ترقص ومتدين وعارف ربنا وعارف الفرق بين السيمون والروز والبينك والفوشيا، وإن ماينفعش الفستان يكون متخنها، وإنها لما تقولك مفيش حاجة لازم تلح مرة واتنين وتلاتة وعشرة لحد ما هي تقرر تقولك فيه ولا لأ

إنك تكون مستعد ومهيأ نفسيًا إنك تودي عربيتك للسمكري مرتين في الشهر، وإنك لازم تقول لها كنت فين ومع مين وبتعمل إيه، ومين البنت اللي كانت بتبص لصاحبك في صورة فرح بنت خالة ابن عمك اللي رُحتوه من سنتين،

لازم تسمعها حتى وأنت راجع من الشغل تعبان.. وإنك المفروض تتكلم معاها مش مع تقضي نص اليوم وأنت باصص

في الموبايل، ولازم تروح معاها عند مامتها وتقعد تلعب مع حمادة ابن أختها وتخلصوا وتخرجوا مع صاحبتها وجوز صاحبتها اللي غالبًا جه الخروجة دي غصب عنه زيك بالظبط.

لازم تبقى حذر جدًّا في التعامل لأنك بتتعامل مع جهاز مخابرات درجة أولى.. إحنا احتياجتنا كده، عشان إحنا بنفكر أكتر ما بنحس.

وهما احتياجاتهم كده عشان بيحسوا أكتر ما بيفكروا، عندهم حتة زيادة في قلبهم.. الحتة دي اللي بتخلي أي ست تعيط لما تسمع خبر موت أي حد وبمنتهى السرعة!!..

يوم ما خالي مات أبويا جالي المدرسة وكنت بالصدفة في حصة ألعاب، وكان جاي ياخد أختي الكبيرة عشان تقعد مع أخويا الصغيّر عشان هو وأمي رايحين الدفنة والعزا.. أول ما أبويا قابلني سألته فيه إيه، قالي خالك مات.. وأنا رغم حبي الشديد لخالي خدت وقت عشان أستوعب الصدمة، وعلى ما بدأت أعيط كان فات فعلًا حوالي تلت ساعة على الموقف في الوقت اللي لقيت فيه أختي نازلة من فصلها معيطة مع أبويا!!..

الست برغم كل السلوك اللي داخلة في بعضها دي والدهاليز اللي بتدخلها عشان توصل لقلبها.. مفتاحها أو بمعنى أدق طرف الخيط اللي لما تشدّه هيكر وهتلاقي نفسك قاعد على عرش أحلامها لوحدك هو الحنان.

ماتحاولش تفهم أي ست لأنك مش هتعرف، أي ست في الدنيا عبارة عن حسبة معقدة لن تنجو منها لو حاولت تفك شفرتها.

هتنفجر هتنفجر، الفكرة كلها في إنك تستوعب الانفجار.. مش في إنك تمنع حدوثه، حاول تحس بيها أكتر ما تحاول تفهمها.. اتعامل مع قلبها بالشوكة والسكينة.. بمنتهى الشياكة وكأنك دكتور جراح بيزرع قلب.. ماينفعش إيدك ترتعش.. لإنك بتتعامل مع قلب عباره عن «ميزان حساس».. قلب الستات دايمًا بيثيب أثر لأي بصمة.. زَي الإزاز المشبَّر.. أقل حاجة بتعلم فيه..

وأنا دايمًا كنت ابن أمي.. صنعة إيدها، عارفة إمتى بكدب وإمتى بتوتر وإمتى بزعل.. هي الوحيدة اللي معاها الكتالوج بتاعي.

عمري ما حسيت إن لفظ «ابن أمك» جارح.. وعمري ما حسيت إنك عيب تحب أمك أكتر من أبوك. لما أبوك بيموت ضهرك بيتكسر، ممكن تقوم بعدها بفترة وتتحسن. لما أمك بتموت، قلبك بيتكسر، وده اللي مش ممكن يتصلح أبدًا.

« يظل الرجل طفلا حتى إذا ماتت أمه شاخ فجأة»

حكمة حقيقية بتنسب لناس كتير من ضمنهم هتلر نفسه.. أيا كان اللي قايلها فهو بالتأكيد عبقري.

خالتي اللي جوزها توفى بعد ما خلّفت ابنها الوحيد بـ ٤٠ يوم.. رفضت كل الناس اللي اتقدموا لها وفضلت مقررة إنها تعيش لحتة الروح اللي في اللفة دي..

كانت بتحارب على ورثه مع أهل أبوه من ناحية.. وبتدوّر على شغل من ناحية تانية.. وتمر بحدوتة طويلة أوي نهايتها إنها جدة لطفلين دلوقتي.. بعد ما كانت أرملة في عز شبابها.. ومازلت بتبسم كل ما بشوفها بتلعب معاهم وبحس إنها عملت إنجاز مايقدرش عليه أي راجل شُفته في حياتي.

لما كنت بتكلم مع أختي عن إحساسها بعد ما بقت أم.. خصوصًا إن أحمد ابنها كان بيمرّ بظروف خاصة لأنه كان عنده مشكلة.. قالتلي إنها فجأة حست إن قلبها خرج منها وبقى بيتشال على إيديها..

قالت لي بالنَّص كده «كل همي في الحياة إنه يبقى كويس.. لو كَحّ قلبي بيوجعني».. في الوقت اللي كان أبوه بيشوفه مرتين كل شهر عشان ظروف شغله.. وده بيأكد إن الأمومة غريزة في حين إن الأبوة صفة مكتسبة..

لذلك فأنا وبكل فخر «ابن امّي»

***

أبوك مش هيردّ

«إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»

رواه مسلم

في جملة (ولد صالح يدعو له) اللي جاءت في حديث صحيح رواه الإمام مسلم، المقصود بالولد الصالح هو الولد المؤمن، وقيل المقصود به أن يتصف بالاستقامة والإلتزام.

قال النووي في شرح مسلم: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه.

كانت الجملة دي من حديث النبي ﷺ بتمر عليَّ مرور

الكـرام.. لأني كنت بلعـب دور الابـن طـول الوقـت.. عمـري مـا اتخيلـت أو فكـرت إني أبقـى أب.

وإحنـا عيـال تلاقـي لما كانـوا بيقسـموا حـلاوة المولـد، كنـت تلاقـي البنـت جاهـا «عروسـه»، والولـد جالـه «حصـان»..

حتى في اللعب.. كنت تلاقى البنات مهووسين طول الوقت بالعرايـس وعايشـين غريـزة الأمومـة مـن أول يـوم.. إنـما احنـا.. ماكانـش عندنـا الـ Concept بتاع إنك تجيب لعبة على شكل طفل وتربيه أبـدًا.. كان آخـرك خالـص تقـول :

– أنا هسمي ابني «كذا».

لكـن غريـزة « الأبـوّة « نفسـها صعـب تتحـرك جـواك وأنـت فـي سـن صغير.

كأن الأبـوه جـين خامـل أو بـركان خامـد أو تفاعـل كيميائـي محتـاج عامـل حفـاز عشـان يحصـل، وده لأني أعتقـد ان كل راجـل حقيقـي بيتحـول لأب فعـلًا بـس بعـد مـا يخلـف.. وإن أي بنـت فهـي أم بالفطـرة حتـى ولـو ماخلفتـش أبـدًا.

الراجل مننـا بيبقى نفسـه فـي «حتة عيـل» صغـير.. كربونـة منه شـكلًا وموضوعًـا.. عيـل يرجّعه عيـل.. وكأنـه اتولـد مـن جديـد.

بـس الفـرق والـلي مقصـود بيـه في الواقـع إنـه بـدأ عمـر تـاني.. عمـر جديـد عـلى نضافـة.. عنـده فرصـة يتفـادى كل أخطـاء زمـان الـلي عملهـا.. ويعمـل كل الـلي كان نفسـه فيـه وماحصلـش، وكأن

الأب بييجي الدنيا قبل ابنه عشان يمر بكل «فخ » وبكل كسرة ضهر وبكل أزمة نفسية ومادية، ويكون طبقة خارجية أو بمعنى أصح Shield من الخبرة حواليه هو وابنه عشان يأمن فكرة خروجه من الدنيا بأقل الخساير.

أنا لما بعمل أي حاجة وأحس إنها ناجحة بيبقى ٩٠٪ من الفرحة اللي جوايا مبنية على أساس إني عندي حاجة أقولها لولادي.. أنا ببني وبتعب عشان ناس ماشوفتهاش لسه.. بحاول أكون مصدر فخر لحد لسه ما جاش.

مرّة كنت رايح حفلة مهمة بالنسبة لي على المستوى الفني.. كانت « آية» جنبي في القطر فقُلت لها: أنا هعمل كل حاجة أقدر عليها عشان تبقي فخورة بيا النهارده.. لقيتها بتتسم بشغف الانتظار.

وبعد ما الحفلة خلصت، وأول ما طلعت الباص اللي هيوصلنا وقعدت وسط الباند، وأصحابي والدايرة الصغيرة بتاعتي، لقيتها بتبص لي، وبتقول: «أنا فخورة بيك أوي».

أعتقد إن دي أكتر لحظة اتأثرت فيها في ٢٠١٦.. حسيت إني مش عارف أعمل أي حاجة غير إني أبتسم.. وفعلًا كل ما بمرّ بلحظات ضعف أو حزن.. بفتكر اللحظة دي وأستقوى بيها على الدنيا.

إذًا فالموضوع مش موضوع نجاح شخصي بس.. أنت بتنجح لغيرك.. بتعمل لولادك.. اللي لسه ماجوش.. عشان عارف انك هتحبهم وانك هتحس انك ابتديت تعيش فعلا من أول ما تشوف حته منك بتجرى قدامك وبتقولك « بابا «

«انت عارف يا مجدي أنا بقعد قُدّام الشجرة دي كتير ليه؟!

عشان نفسي أبقى زيها.. تطلع مني فروع.. الفروع تنزل الأرض تطلع جذور الجذور تطلع فروع»

فيلم حليم ٢٠٠٦

***

كنت في مناقشة لكتاب إذاعة الأغاني للكاتب عمر طاهر، وفي وسط كلامه عن الكتاب كان بيحكى عن تجربته أول ما خلف « ليلى « .. ويقول إنه كان بيحب أغنية معينة بتقول « كنت طير وصبحت مراكبي » ..

كان بيحكي انه مكانش فاهم معناها.. وسأل ناس كتير عن معنى التركيبة بتاعة الجملة، وماوصلش لرد يقنعه.. فبيكمل كلامه وبيقول إن مراته كانت تعبانة فطلبت منه ياخد منها « ليلى » شوية؛ فبيقول طلعت وقفت بيها في البلكونة، وحسيت بالجملة بترن في وداني ولأول مرَّة أفهم يعني إيه أنا كنت طير وصبحت مراكبي، وازاي كنت طاير لوحدي ودلوقتي بقيت مربوط بناس بحبها وشايلهم وماشي بيهم زَي المراكبي، وده لأن العيال همَّ «المسؤلية الحلوة»

وكنت راكب مع سواق تاكسي في مرَّة.. ركبت معاه وكان الوقت متأخر وقالي:

- لو مكنتش في سكّتي ماكانتش هاخدك.

قُلت له ليه.. فردّ:

- جبَرِت بقى.. هروح أقعد مع العيال.

- ربنا يخليهم لك.

ابتسم طلب منّي طلب غريب أوي.. قالي:

- ابقى فكرني أجيب شوكولاتة والنبي يا أستاذ..

افتكرته بيهزر ضحكت كده وقُلت له اشمعنى؟!.. قالي:

- بنتي مابتعرفش تذاكر غير لما تاكل شوكولاتة كل شوية.. دكتورة بقى.. ما أقدرش أزعلها.

وكمل كلامه وقال جملة قسمتني نصين.. قال:

- والله يا سيدي أنا بقيت بجيب بنُصّ اللي بشتغل بيه شوكولاتة.. نفسي بس أشوفها في عيادة

وده الراجل اللي يستاهل فعلًا كلمة أب

❊❊❊

و أنا صغير كنت مهووس بالـ Games.. ومازلت بصراحة بس مش زَي الأول.. مش هنسى اليوم اللي أمي دخلت فيه البيت وجاية في إيديها أتاري.. ولمتنا حواليه.. والوقت اللي ضاع وأنا بلعب.

أبويا كان دايمًا له نظرة مختلفة.. كان دايمًا بياخد منّي أي حاجة بتعطلني عن المذاكرة والدروس.. مرّة اختلفنا.. وفجأة لقيته بيكسر «الأتاري».. وبيكسر معاه حتة من روح العيل الصغير اللي واقف يتفرج على المشهد في ذهول وصمت.. ذهول لدرجة إنه ماعرفش حتى يعيط..

يرمها حتة بلاستيك من اللي في الأتاري، ردت في نظارة أبويا وكسرت الشمبر.. وأنا اعتبرت إنها عدالة السماء وإن ربنا بياخد لي حقي من الشخص اللي كسر الحاجة اللي بحبها.

وبعد ما كبرت شوية.. أبويا حَب يعوضني معنويًا فاشترى لي كمبيوتر.. وكان أحدث حاجة موجودة وقتها.. وفرحت جدًّا واتحبست في العالم الافتراضي اللي عملته في خيالي.. نفس السناريو اتكرر ولقيته نقل الكمبيوتر للمكتب.. وقتها قُلت منيش فايدة.. ورجعت أتمرمط في السايبرات تاني، وعملت ملازِم مراجعة لزمايلي عشان أحوّش منها فلوس ألعب بيها وقت أطول في السايبر.

أبويا كان كل ما يشوفني في السايبر يتجنن.. لدرجة إنه أحيانًا كان بيحبسني في البيت.. كنت ساخط على العالم فعلاً.. بكره الواقع.. «عايز ألعب».. عايز أضيَّع وقتي في عالم فيه مساحة من الحرية أكتر من العالم الضيق اللي أنا فيه ده..

كنت وقتها شايف أبويا الشخص اللي مش هاين عليه يشوفني بفرح بأي حاجة.. مرّة كنت قاعد مع وليد ابن خالتي

وكان بيوعيني لأنه أكبر مني بـ ١٠ سنين وكان بيقول لي إن ده طبيعي وإني عمري ما هلاقي حد زَي أبويا لو لفيت الدنيا كلها.. وإنه بيعمل كده عشان مصلحتي وعشان خايف عليَّ وطبعا أنا مش مقتنع بالكلام ومش عاجبني الوضع ومتمرد والفجوه بيني وبين أبويا بتزيد مع الزمن.

أنا بكبر.. وأبويا بيكبر.. والسنين بتعدي.. تحديدًا ٢٠١٤ بشتغل وكل حاجة بتبقى متاحة.. اللي نفسي فيه بجيبه.. عايز أتأخر بتأخر.. عايز أبات برة ببات، عايز أسافر مع صحابي بسافر.. الرأس مالية تحكم.. أنا اللي بصرف على نفسي ماحدش له عندي حاجة، بس بعد شوية لما أخويا كْبر ودخل إعدادي.. لقيت نفسي بعمل معاه نفس اللي اتعمل معايا بالحرف..

لقيتني فعلًا بعمل كده عشان خايف عليه وعايز مصلحته.. لما عرفت الفلوس بتيجي ازاي، وازاي أبويا كان بيتعب عشان يوفر لي فلوس الدروس، ويجيبلي لبس العيد.. ويديني مصروف كل يوم وأنا رايح المدرسة.. رحلة الشقا الطويلة اللي انتهت بإني بقى ليَّ قيمة وقاعد أكلمكم دلوقتي.. بدايتها أب عظيم.. مافهمتوش صح.. غير لما بقيت مكانه.. إحنا كبرنا وهمَّ كبروا ومحتاجين يحسوا إننا جنبهم.. مش عايزين مننا غير شوية وقت.

***

فيه جملة من فيلم آسف على الإزعاج، بتحاول دلال عبد العزيز تقنع فيها أحمد حلمي إن «أبوه» مات وهو بيطلب منها تسكت وبيفقد أعصابه في مشهد درامي مكتمل الأركان

«مش هيردّ يا حبيبي.. أبوك مش هيرد»

الجملة كانت عادية.. عادية جداااا.. لحد ما لقيت أمي في يوم بتقولي « ابقى اسأل على بابا».. اتصل النهارده وسألني عليك.. وقال لي إنك مابتكلموش خالص، قُلت لها طيب.. شوية كده وهكلمه.. قالت لي لأ كلمه دلوقتي.. كلمته.. ومارِدش..

وفجأة لقتها بتقول لي «أبوك مش هيرد» !.. عشان زعلان

قلبي اتقبض وقتها.. بشكل خلاني تخيلت فكرة «الفقد» نفسها.. لمجرد جزء من الثانية، وتخيلت فكرة إني ممكن أبقى محتاج أبويا فعلًا ومش لاقيه.

كنت بتكلم مع واحد صاحبي عن والد واحد صاحبنا توفى.. وقال لي إن صاحبنا قدامه وقت عشان يخرج من صدمته.. خصوصًا إن سنّه لسه صغير، وإنه كان مرتبط بيه أوي.

وقال لي:

- إذا كان فلان الفلاني اللي عنده كام وستين سنة.. لما أبوه مات.. قالي «أنا ضهري انكسر»

الشاهد من اللي بحكيه إن علاقتي بأبويا ماكانتش مثالية أوي، أبويا مكانش لارج ومصاحبني جدًّا زَي عزت أبو عوف

ما عمل مع تامر حسني في «عمر وسلمى».. وبرضو ماكانش بعيد عني البُعد اللي يخليني أعتبر وجوده مش مؤثر.. أبويا كان بيربيني من بعيد لبعيد.. وده عمل فجوة في علاقتنا بدأت تزيد كل ما بكبر. دخلت جامعة وخرجت منها وأنا بعيد عن أبويا.. أبويا بالنسبة لي كان الشخص اللي لما بحتاج فلوس بروح أطلب منه.. يعني أنا ما افتكرش إني حضنت أبويا في الفترة اللي من إعدادي لحد ما خلصت جامعة غير لما أبو تريكه جاب جون في الكاميرون نهائي كاس الأمم الإفريقية ٢٠٠٨ وأي حد قاعد مكان أبويا وقتها كنت هحضنه!.. كان نفسي أحس بدور أبويا بشكل أكبر من كده.

كان نفسي أحس إن أبويا بيحبني، أو حتى يحاول يخلي علاقتنا مش مجرد.. تعمل كذا وماتعملش كذا.

فيه جملة في فيلم الجزيره الجزء التاني في حوار بين هند صبري وأحمد السقا، قال لها فيها: «اللي بيخلّف مابيموتش.. قالت له واللي ولده بيموت بيعيش باقي عمره ميت».

طب ليه إحنا مش كده!

«ومحمود حميدة في فيلم آسف على الإزعاج وهو بيكلم أحمد حلمي ابنه وبيقول له:

«عارف يا حسن.. كنت دايمًا أسمع الناس بتتكلم عن علاقة الإبن بأبوه.. بس عمري ما فهمت الكلام ده غير لما خلفتك.. حسيت إنك المصغر بتاعي.. بواقي وقعت مني..

وأنا كنت أقربلك من أمك بكتير.. وهي كانت تتجنن.. يعني أنا أربي، وأدادي، واكل، وأنت تيجي آخر النهار تاخد الحب ع الجاهز؟ سنين وأنا شايفك بتكبر قدام عينيا.. اللي بيضحكني بيضحكك، واللي بيزعلني بيزعلك.. بتحب اللي بحبه، وبتكره اللي بكرهه

كان نفسي أنا وأبويا علاقتنا تكون في الإطار ده.. بس محدش فينا كان مدى للتاني فرصة.

لحد ما كبرت شوية.. كبرت ودخلت دايرة الحياه برجليّ الاتنين.. واستقليت ماديًا.. وهنا.. دور أبويا كشخص باخد منه فلوس انتهى.. وكان لازم أدوَّر على سبب يربطني بالراجل ده.

مع الأيام، لقيت أبويا بيصاحبني.. بيصاحبني جدًّا، بياخد رأيي في مشاكل أنا ماعنديش حل ليها.. وهو عارف كده.. بس لمجرد إنه يحس إني بشاركه ويحسسني إني مهم بالنسبة له.. وابتديت أفهم أنا كمان إنه كان حكيم في تصرفاته.. حكيم جدًّا أبعد من مستوى ذكائي وفهمي المحدود للدنيا وخبراتي اللي ماتجيش حاجة في بحر خبراته.

اكتشفت إنه كان عنده حق في كل المرات اللي عاقبني فيها، وإني لو مكانه كنت هتصرف زَي ما هو اتصرف بالظبط ويمكن بحكمة أقل.. أبويا طول عمره صاحبي، بس أنا اللي طول عمري ماكنتش فاهم الصداقة دي بالشكل المتقدم ده؛ لأن

مفهـوم الصداقـة بالنسـبة لي كان ضيـق أوي ومحـدود جـدًّا.

والـلي فهمتـه أكـتر إنـه مش أي أب يقـدر يوصـل مـع ولاده لمسـاحة معينـة مـن الصداقـة تخليـه يبقـى فاهـم احتياجتهـم الحقيقيـة.. مش الـلي بيفرضهـا عليهـم المجتمـع.. وفي نفس الوقت محافـظ عـلى مكانـه كعصـب للبيـت وحجر ارتـكاز لكيـان كامـل اسـمه (الأسرة). ماكنتـش فاهـم عشـان كنـت بطلـب مـن أبويـا يستسـهل ويعمـل لي الـلي أنـا عايـزه.. في الوقـت الـلي هـو كان فيـه بيعمـل المسـتحيل عشـان يوصلنـي لـلي أنـا محتاجـه.

***

وكأن حزنًا لم يكن

«عايز عَجَلَة»

لما تحس إن الدنيا قفلّت، وإنك خلاص انطفيت.. انطفيت كليًّا.. جسم وروح.. وقلب وعقل.. أول ما تحس إن كل حاجة بقت «صفر»، وإنك وقعت الوقعة اللي مش ممكن تقوم بعدها، وإنك انتهيت للأبد، وإن سلك «الهاند فري» اتعقَّد للدرجة اللي تخليه مش هيتفك تاني.. أنت مش محتاج غير إنك تقرأ سورة الضحى ليس باعتبارها سورة في القرآن الكريم بس.. بل باعتبارها رسالة إلهية تنفع لأي حد مهما كانت قناعاته.

النبي ﷺ قعد حوالي ست شهور منقطع عنه الوحي تمامًا.. مفيش أي إشارة من ربنا، مفيش أي حاجة تطمن قلبه..

لا سيدنا جبريل نزل عليه ولا شاف رؤيا تصبَّره.

إحنا كمان أوقات بنمرّ بحالة من انقطاع البث.. الدنيا بتلهينا.. فنلقينا عايشين وخلاص، بنصلي روتين، مش حاسين باللي بنقوله، فيه حاجز بينّا وبين السما، فيه إيمان، بس مفيش قلب مشحون باليقين اللي يخلي للإيمان ده طعم، ربنا بيبعتلك رسايل مش بتشوفها، وأنت مش قادر تفهم إيه اللي حصل؟!.. هو ربنا بطَّل يكلمني ليه؟!.. هو أنا ليه ماعدتش بحلم أحلام سعيدة.. هو إيه اللي كسر العلاقة بيني وبين ربنا.

تخيل أنت الوحي بقى انقطع عن النبي ﷺ لفترة مش قليلة؛ كذلك أنت أحيانًا بتمر بظروف مشابهة.. ممكن الشيطان نفسه يخليك تحس إن ربنا ماعادش بيحبك، وإن حياتك باظت، وإنها راحت عليك، لا دعائك مستجاب ولا عندك إشارة واحدة تقول إن بكرة الحياة ممكن تبقى أحلى.

وأول ما بتحس إنك خلاص انطفيت، بتتدخّل الإرادة الإلهية، وترتب كل شيء.. وكأن حزنًا لم يكن.

ربنا سبحانه وتعالى قال:

«والضحى والليل إذا سجى»[1]

١- سورة الضحى الآية رقم (١،٢).

وكأنّ ربنا بيأمرنا نقوم نبدأ نهار جديد، ناسيين فيه تعب امبارح، صفحة جديدة نكتب فيها اللي إحنا عايزينه..

شوف كمان رحمة ربنا وهو بيقول للنبي ﷺ وبيقول لنا من بعده «ما ودعك ربك وما قلى»[٢]، وكأنه بيقولك أنا مش هسيبك..

«وللآخرة خير لك من الأولى»..[٣]

اللي عند ربنا أجمل وأبقى، وإن الدنيا دار اختبار بحلوها ومُرّها وهتعدي.

من الأحاديث اللي وردت في الأثر، حديث فيه جملة بتقول: «إن الله يعجب من سائل يسأل غير الجنة».. لأنها السعادة القصوى والراحة الأبدية، وإن الموضوع موضوع صبر ورضا.. ثم جاء بقى الوعد الإلهي العظيم المطمئن لما ربنا قال «ولسوف يعطيك ربك فترضى».. وده الوعد اللي مايتفعش تشوفه وتفضل زعلان أبدًا.. إلى آخر السورة الكريمة.

أنا أعتقد في قرارة نفسي إن أي تدخل إلهي بيبقى اختبار، يا إما عشان بعِدت عن ربنا وعايزك ترجع، يا إما ربنا بيختبر صبرك وقدرتك على التحمل وحبك له.

٢- سورة الضحى الآية رقم (٣).

٣- سورة الضحى، الآية رقم (٤).

«هل تشعر بمسافة كبيرة بينك وبين الله.. خمن من الذي ابتعد؟!»

جون سي ماكسويل

وده كله كلام بيدور حوالين فقدان الأمل الخارج عن إرادتك، طب والناس اللي بتحاربك عشان تكسرك؟!، تعمل معاهم إيه؟!

لازم تبقى عارف إنك مش أطيب إنسان في الدنيا، وإن الناس مش أشرار بالخارج مستنيين أي فرصة عشان يحطموك، لازم تبقى عارف إن كلنا مش ملايكة، وإن العالم مش مكان مثالي،

طبيعي تقابل ناس تقف جنبك وناس تتريق عليك.. مهما كنت قوي، هتتكسر، وهتاخد على دماغك، وكل ما هتبني حاجة هتلاقي اللي ييجي يهدها، الدنيا هتكسر مناخيرك مرة واتنين وتلاتة.

كان فيه جملة اتشهرت أوي الفترة اللي فاتت بتقول: «لماذا يحدث كل هذا معي؟!.. لأن الله يريدك أقوى».

والحلاج كان بيقول:

«ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء»

حـارب الدنيـا وحـاول تصنـع المعجـزة وتطلـع منهـا أبيـض القلـب وطاهـر المشـاعر زَي مـا دخلـت.. شـبه مسـتحيل بـس نتائـج المحاولـة ممكـن تخليـك في لنهايـة إنسـان عظيـم قـدام نفسـك وقـدام الـلي بيحبـوك.

الفكـرة كلهـا مـش في الصدمـات الـلي هتاخدهـا، الفكـرة كلهـا في مـدى قدرتـك عـلى التحمـل.. هتعـرف تسـتحمل لحـد فـين؟.. حـاول.. حـاول لآخـر نَفَـس.. لحـد مـا تمـوت، وخليـك حاطـط قدَّامـك دايـمًا الآيـة الـلي بتقـول: «لعـل الله يحـدث بعـد ذلـك أمـرًا»..

الهدف في مباريات الكورة بييجي في ثانية..

عمومًـا أول حاجـة لازم تعملهـا إنـك تاخـد بالحكمـة الـلي بتقـول:

Be a Good Person but Don›t Waste Time to Prove It

ثانيًـا لازم تأمّـن ضهـر عقلـك، وماتخليـش حـد يـزرع جـواك أفـكار سـلبية، وخليـك عـارف إن الـلي مـش هيعـرف يطولـك، هيحـاول يوقعـك.

«إن كان لديـك حـلم، عليـك أن تدافـع عنـه، يعجـز النـاس في بعـض الأحيـان عـن القيـام بأمـور يريدونهـا فيوهمونـك أنـك عاجـز مثلهـم.. إذا أردت أمـرًا قاتـل مـن أجلـه»

Pursuit of happiness

وعشان تبقى في الأمان دايماً.. اعمل حسابك إن الدنيا دايماً عندها سناريو مختلف للخطة.. دايماً هتلاقي مفاجآة.. مهما عملت حسابك إن كل حاجة تمام.. استعد لأي حاجة، وتوقع كل شيء.

يوم امتحان التاريخ في الثانوية العامة.. اتوترت وماعرفتش أحل كويس، وانهرت في اللجنة، وجبت ٣٠ من ٥٠، دخلت كلية مابحبهاش، بس أنا ماوقفتش مكاني وبعمل حاجة بحبها دلوقتي بدليل إنك بتقرأ حالياً اللي أنا بكتبه.

من سنين طويلة قوي.. طفل يادوب كسر حبة سنين من عمره، كان بيعانى في بداية طفولته من شلل دماغى أثّر على آداء إشارات الحركه اللي جاية من المخ.. فأصبح النص الشمال بشكل أفقي مش شغال تقريبًا.. لا عين ولا إيد ولا رِجل.

أفتكر أول مرَّة دخلت أوضة عمليات كان عندي أربع سنين، ومافتكرش كويس غير مشهدين.

الأول: إني دخلت أوضة العمليات وفجأة لقيت أمي بتسيب إيدي ودكتورة التخدير بتحاول تهديني.

وبقولها أنا عايز ماما وهي بتقول لواحد واقف بعيد

- اقفل الباب

وبتحط حاجة سودا على وشي زي اللي في الأفلام وفجأة الدنيا بقت ضلمة..

صحيت من النوم لقيت رجليَّ الاتنين في الجبس، وحوالين مني وشوش مش مميزها أوي، ومركبين في إيديا اليمين خراطيم كتيل داخل منها محاليل

أنا مش مجمع أي حاجة وأمي بتمسك إيدي كأنها أول مرة تشوفني، بعدها بكام يوم ابتديت أتأقلم على الموضوع لدرجة إني ابتيدت أتعامل مع البتاعة اللي مركبينها في إيدي على إنها مسدس وكنت بنشن على الناس اللي بتزورني.. تخيل كل ده وأنا عندي ٤ سنين؟!

المشهد التاني: يوم ما فكيت الجبس، ورُحنا بيت جدتي لأمي.. وفجأة بتحصل خناقة بين أمي وأبويا من الهوا، وبينزل وبيسيبنا عند جدتي اللي فضلت جنبي طول الليل وقت ما كانت شبه مغمى عليها من كتر الإرهاق.. تاني يوم على الساعة ٢ الضهر كانت جدتي بتغنيلي أغنية لسه لحنها بيرن في وداني:

«واحد اتنين سرجي مرجي.. أنت حكيم ولا تمرجي»

إحساسي بالاختلاف طول الوقت كان مضايقني بحُكم إني طفل وعندي فضول وشغف أعمل زَي ما العيال بتعمل.

إحساسي بشفقة الآخرين أو بإني القرد اللي بيتفرجوا عليه وهو بيمشي ويرموا إفيهات، خلاني طول الوقت أحس إني في مكان لوحدي وآخد جنب وأنعزل عن المجتمع.

عمرك ما هتعرف يعني إيه طفل بيعاني من إعاقة وفرضت عليه الظروف إنه يتحط في مدرسه حكومية، مالوش رأس مال فيها غير عقل ولسان.. لا حول له ولا قوة.

كنت الأشطر، مش لأني الأذكى بس لأني الأكثر حرصًا على مكاني كرقم واحد في حاجة.

نوع من أنواع التعويض المعنوي اللي بصبَّر بيه نفسي على إني مثلًا مابلعبش كورة معاهم، أو لما بلعب بيتعاملوا معايا على إني شفاف.. الحقيقة أنا مكنتش بلعب كورة، أنا كنت بمارس رياضة الجري مش أكتر،

كبرت شوية بشوية، وشخصيتي ابتدت تتكون.. وجه الوقت اللي كل العيال فيه بتركب عجل.. وأنا؟! هقعد أتفرَّج يعني؟!..

في البداية فعلًا كنت بتفرج.. بتفرج بس.. لحد ما في يوم قررت أغيَّر الواقع وقُلت:

- بابا أنا عايز عجلة.

طبعًا كأي أب ماكانش مقتنع إني ممكن أسوق عجله.. أنا بمشي بالعافية أصلًا.

بناءا عليه كان بيقولي « ان شاء الله الأسبوع الجى «.. وفضل يكرر الجملة ٤ أسابيع.. لحد ما جيت في مرَّة قُلت له بكل طاقة الغضب اللي تركمت عندي من الوضع اللي بقيت فيه:

- أنت كدااااب.

والنتيجة؟!.. «علقة محترمة».. بعدها بكام يوم لقيت أختي في البلكونه بتناديلي بتقولي: إلحق يا محمد بابا جابلك عجلة. ماكنتش مصدق.. طلعت لقيت العجْلة ولكن!!

كان فيها سنادات على الناحيتين.. وكأن الدنيا بتقول لي بَص يا ابني أنت لسهُ صغير «خليك عارف من أولها إن الحلو مبيكملش «.. نزلت وركبتها وحسيت إني طاير وانبسطت.. بس يفيد بإيه الطيران وأنا مربوط بحبل.

كنت مبسوط بس مش دي النشوة اللي بدور عليها.. كنت حاسس برضو إني مش قادر أسوق عجل زَي ما أنا عايز.. مش قادر ألعب كورة وإني بضحك على نفسي هنا وهناك، وإني عمري ما هيبقى ليَّ أي لزمة حتى لو بقيت أشطر ولد في المدرسة.. برضو هفضل حاسس إني ناقص في حتة معينة.

وبناءً عليه، سرقت مفتاح ١٠ من أوضة عمي، وفكيت السنادات وطلعت على الطريق الرئيسي.. وقعت كتير أوي، وقعت لدرجة إني صعبت على طوب الأرض يومها، والناس بتقنعني إنه مش هينفع وإني لازم أروح البيت، وأنا راسي وألف سيف أروَّح وانا سايق العجلة زي أي حد.. مش هقدر أوصف إحساسي أول مرة أسوق العجلة بجد من غير سنادات..

كانت أول مرَّة الحياة تضحكلي..

كنت حاسس انى « ملك «..

حاسس بشئ بيتعاش مرَّة واحده في العمر بس

على فكرة أنا عمري ما ركبت العجلة حبًّا فيها، ولكن كان مجرد إثبات لنفسي إني زَيي زَي أي حد.

«أنا اللي بالأمر المحال اغتـــوي
شفت القمر نطيت لفوق في الهـوا
طُلته ما طُلتوش إيه أنا يهمنـــي
و ليه.. ما دام بالنشوة قلبي ارتوى»

صلاح جاهين

***



إذا نـزلَ مؤمـن وكافـر إلى البحـر.. فـلا ينجـو منهـم إلا مـن تعلّـم السـباحة؛ فاللـه لا يحـابي الجهـلاء»

مصطفى محمود

قد بسَطتُ يدي

النقشبندى.. أو زَيّ ما بيقولوا عليه أستاذ المدَّاحين.. واللي بعض المصادر بتقول إن معنى اسمه هو «نقش في القلب» أو «نقش القلب» من اللغة الفارسية.

الشيخ المداح سيد النقشبندي كان بيكلم ربنا بمنتهى الرجاء.. في لحن رائع لبليغ حمدي وكورال في الخلفية عبارة عن علي الحجار وعماد عبد الحليم.. حاولت كتير أفهم يعني إيه «قد بسطت يدي».. هو مش المفروض العكس؟!.. مش المفروض ربنا اللي يمد إيده ليَّ وياخدني من الحزن اللي أنا فيه.

***

في بداية القرن الماضي وبعد ما اتولد الشيخ سيد النقشبندي بسنة واحدة انفصل أبوه وأمه.. وعاش بعدها النقشبندي مع أمه وزوجها الشيخ المواردي واللي أخد الأسرة كلها وعاشوا في سوهاج.

النقشبندي بعد ما دخل الكتاب.. اتعلم وحفظ القرآن الكريم ودرس السنة والفقه.. وبعدها درس الشعر.. ومع الوقت اتعلق قلبه بالتواشيح والابتهالات اللي كان بيسمعها في القرية اللي عاش فيها.. ومكانش يعرف وقتها إنه هيبقى في يوم من الأيام علامة من علامات المدح والأدعية الدينية باقي عمره كله.

***

كان فيه قصة مشهورة أوي اسمها «اليد صاحبة الرجاء».. كان طبيب قرر إنه يعمل عملية لجنين وهو جوا الرحم.. لأن الجنين لو خرج من الرحم احتمالات نجاته هي صفر في المية.

وقتها الطبيب عمل فتحة في جدار الرحم.. عشان يقدر يوصل لجسم الجنين وينفذ العملية.. وبعد ما خلصها.. وفي الوقت اللي كان بيحاول فيه الدكتور إنه يرجّع الرحم مكانه.. الجنين خرج إيده ومسك إصبع الدكتور اللي كان اسمه برونر.. دكتور «برونر» بيحكي عن اللحظة دي وبيقول:

«لقد كانت هذه اللحظة من أكثر اللحظات التي مرت في حياتي تأثيراً عليّ لدرجة أنني في تلك اللحظة قد تجمدت مكاني ولم أستطع أن أفعل أي شيء أو أن أحرك إصبعي، أحسست بأن أطرافي كلها قد تجمدت».

***

أول خطوة الشيخ سيد النقشبندي أخدها في احتراف الإنشاد الديني كانت في صعيد مصر.. وبعدها راح مدينة طنطا.. كان في الأول بيقرأ قرآن الجمعة في المسجد.. وبعد فترة طويلة أنشد في المكان اللي كان بيتمنى ينشد فيه أدعيته الدينية.. في مسجد أحمد البدوي.. ومن بعدها برنامج «رحاب الإيمان «.. لحد ما دخل صوت النقشبندي كل بيوت مصر بعد آذان المغرب في شهر رمضان الكريم بأدعيته المشهورة واللي فضلت عايشة معانا وبقت علامة من علامات مصر واللي بمجرد ما تسمعها مهما كنت في أي مكان في العالم كل اللي هيجي في بالك هو شكل مصر وشوارعها في رمضان.

***

في فيلم The Pursuit of Happiness كان في مشهد بيحكي فيه لأبوه بيقول:

أتريد سماع شيء مضحك يا أبي؟.. ذات مرة كان هناك رجل يغرق، فجاء قارب وتوقف بجواره، سأله صاحب القارب: «أتريد المساعدة؟» فأجابه الرجل: «الرب سوف ينقذني». ثم جاء قارب آخر فسأله صاحبه: «أتريد المساعدة؟» فأجاب الرجل: «الرب سوف ينقذني». ثم غرق الرجل وصعد إلى السماء. فسأل الرب: « لماذا لم تنقذني؟». أجابه الرب: « لقد أرسلت إليك قاربين أيها المغفل».

منح الحياة أو تغيير مسارها للأحسن.. محتاج منك إنك تمد إيديك للناس اللي بتمد لك إيدها.. ولو حتى على سبيل شكرهم إنهم حاولوا يغيروا حياتك للأحسن.

ماتستناش ربنا يصلح لك حياتك وأنت قاعد تتفرج.. يكفيك وقتها شرف المحاولة.. ولو ربنا خرجك من اللي أنت فيه.. عن طريق انه بعتلك شغل.. أو فلوس.. أو شخص.. أو أي حاجة كانت سبب إن حياتك ترجع زَي ما كانت.. ماتنساش تقول «الحمد لله»

النقشبندي كان بيقول تحديدا في الابتهال :

مولاي إني ببابك قد بسطتُ يدي

من لي ألوذ به إلاك يا سندي

الكلمات أقوى من إنها تحتاج تفكير كتير.. اللي طالب العون والسند عمل اللي عليه.. بسط إيده لمولاه.. ربنا اللي خالقه.. أرحم الراحمين.. وآمن إنه مالوش سند أو عين غيره.. ولما نوصل للمرحلة دي من الإيمان بربنا.. ساعتها هندرك بمنتهى السهولة آيات ودلائل ربنا اللي ممكن يبعتهالنا مساعدة على شكل ناس أو رزق أو أي حاجة تانية ممكن ما تخطرش على عقلنا المحدود.. ومش هنستنى كل حاجة تجيلنا لحد عندنا واحنا قاعدين مستنيين

حِبّ نفسك

سنة ١٩٩٢.. كام العداء البريطانى «ديريك ريدموند» بيستعد عشان يفوز سباق الـ ٤٠٠ متر.. وبعد ١٥٠ متر فقط من بداية السباق حصلت له إصابة في عضلة الفخذ.

فجأة الزمن بدأ يعمل «Slow Motion» وديريك بيدخل في فلاش باك ويفتكر طفولته.. حلمه إنه يبقى حاجة.. حاجة كبيرة وحقيقية ومختلفة.

كل نقطة عَرَق نزلت منه في التمرينات وأهّلته إنه يقف في المكان ده بدل ناس تانية كتير عشان يحقق حلمه الكبير ومجده الشخصي.

كل ليلة بات يحلم فيها بالفوز والمركز الأول.

دلوقتي بيجري على رِجل واحدة.. خلاص كل حاجة بتتلاشى قدامه.. الانهيار حصل فجأة.. مش مستوعب ولا

مصدق إن المشوار انتهى هنا.. مش قادر يقتنع.. عقله رافض النهاية وجسمه مش قادر يغيرها..

وقتها والمسعفين بيحاولوا يساعدوه وهو بيبعدهم عن طريقه.. لحد ما يلاقي «جيم» أبوه داخل يسنده ويكمل معاه التراك للنهايه.. وقتها ديريك بيقتنع ويدرك فعلًا إن دي نهاية الرحلة وبينهار في نوبة بكا وسط تصقيف الجمهور واحترامه لمشاعر ديريك وحلمه إنه يوصل لخط النهاية.

أبويا رجع البيت في يوم لقاني واقف على السلم.. مش عايز أطلع ولبسي كله متبهدل ومبلول لآخره.. قال لي بخضة:

- مالك ؟؟

- وقعت في الشارع

قال لي وقعت في الشارع إزاي؟!

سكتت شوية وبعدين رديت:

- كان فيه واحد صاحبي ماشي معايا ومعديين على حفرة واتراهنّا على اللي ينطّ من فوقها عشان يعدي.

كنت ساعتها مجبّس رجلي الشمال، وحتى لو مش مجبسها ما كنتش برضو هعرف أعدي أصلًا.. المهم إن الشجاعة خدتني لحد ما وأنا بنط من فوق الحفرة وقعت.. ولما طلعوني رجعت البيت مكسوف وبيكي. أبويا زعِل جدًّا وقتها وقالل لي جملة عمري ما نسيتها.. قال:

- اللي يدّي العمى حقه.. يبقى مفتح.

مافهمتش قصده بالظبط وسألته:

- يعني إيه؟

فردّ:

- يعني أنت عندك دماغ استخدمها.. رجليك وسيلة مشي بس.. ماتتورطش في حاجة أنت مش قدها.. وماتراهنش على حاجة خسرانة..

وشالني لحد الدور التالت وحطني في السرير وباس راسي وقال لي:

- استغفر ربنا ونام

***

سنة ٢٠٠٩.. دخلت «سوزان بويل» عشان تقف على مسرح Britain's Got Talent ..

سوزان بويل صاحبة الـ٤٧ سنه دخلت وشكلها غير مرتب بالمرة.. ولما سألوها حلمك إيه.. قالت:

- عايزه أبقى مغنيه محترفة.

بمنهى البساطة والثقة والتلقائية الشديدة.. استغربوا وسألوها ليه ده ماحصلش لحد دلوقتي.. قالتلهم:

- عمري ما لقيت الفرصة.. وعندي أمل دلوقتي إن الوضع يتغير.

في النهاية سألوها نفسك تبقى زي مين.. قالتلهم «ألين بيج».. وطبعًا ده كله حصل وسط نظرات اشمئزاز واستهتار بيها وبموهبتها..

سوزان بعدها بدأت تغني.. المسرح اترج.. حصل حالة صدمة للجمهور وللجنة التحكيم.. صوتها كان غير طبيعي وآداءها كان استثنائي بكل المقاييس شيء أجمل من إنه يصدق.. قنبلة موقوتة انفجرت في كل المشككين.. وفجأة الجمهور واللجنة وقفوا وصقفوا لها بمنتهى الاحترام لحد ما خلصت غنا.

الغريب إنها كانت طيبة لدرجة انها خلصت غنا ومشيت.. من غير ما تسمع رأي لجنة التحكيم.. ندهوا عليها وقالوا آراءهم بمنتهى الثناء.. بس أكتر جملة كانت معلقة معايا.. لما واحد من اللجنة قالها.. وقت ما دخلتي هنا وقولتي إنك عايزه تبقى زى «ألين بيج».. الناس كانت بتضحك.. دلوقتي محدش يقدر يضحك عليكب تانب..

سوزان أثبتت نفسها للعالم.. عشان عندها حلم تحارب عشانه.. ويوم ١٣ ديسمبر من نفس السنة.. وقفت «سوزان بويل» تغنى مع ألين بيج على مسرح واحد.. والحلم بقى حقيقه فعلًا.

***

جماهير نادي «ليفربول» الإنجليزى.. كانت دايمًا عندها جمله مشهوره بتقول « You will never walk alone»

ده لأن الحياة رحلة مابتحلوّش غير بالمشاركة.. غير لما بتحس إن فيه حد في ضهرك.. وكأنك في الأول والآخر.. قلبك عبارة عن شنطة فيها كل الناس والذكريات.. وبمرور الزمن.. ناس بتتشال منها وناس بتتحط فيها.

وعشان توصل لحلمك أو لراحة بالك أو لأي شيء نفسك فيه.. لازم تبقى مستقر نفسيًّا.. وعشان تستقر نفسيًّا.. يلزمك حبيب.. مش شرط يكون حبيب بالمعنى التقليدي.

دي مشكلة غالبًا بنقع فيها كلنا.. اختزال معنى الحبيب في الجنس الآخر فقط.. الحبيب ممكن يكون أب.. أم.. أخ صغير يسندك لما تكبر.. أخ كبير ياخد بإيدك لحد ما تقف على رجليك.. صاحب جدع.. بنت بمية راجل.. مش كل الحب اللي بنحبه زَي الأفلام..

المهم قبل ما تدور على حد يحبك.. تحب نفسك الأول.. عشان انت أولى واحد بقلبك ..

لو حبيت نفسك مش هتبقى أناني لأنك هتعرف كويس أوي تحب ناس حواليك .. وتعرف تحبهم صح مش تفريغ مشاعر وخلاص.. الأناني ما بيحبش غير نفسه بس.. وبيحبها بكل الطرق الخطأ المؤذية ليه وللي حواليه.

***



لأن الصدفة أحيانًا.. بتبقى بألف ألف معاد

مصطفى إبراهيم

تتجوزيني يا بسكويتة

سنة ١٩٦٣ رشح الفنان عبد المنعم مدبولي لفؤاد المهندس فتاة مظهرها وطريقتها في التعامل استقراطية جدًّا.. وزي ما فؤاد المهندس كان شايف مظهرها وطريقتها وارستقراطيتها كلها حاجات بعيدة عن الكوميديا وربما لا تؤهلها لأنها تكون كوميديانة قوية.

الترشيح كان للبطولة قدامه في مسرحية «السكرتير الفني» واللي كانت أول لقاء فني يجمع بين أشهر ثنائي في تاريخ الفن.

بعد المسرحية دي اشتغل الثنائي العظيم ده مع بعض في مسرحيات وأعمال فنية تانية وكان صرَّح فؤاد المهندس بعد كده بجملته الشهيرة:

«كنت أحب الحديث إليها كلما التقينا، ولا أعرف السبب في ذلك»

بعد كده كان الحدث المشهور واللي فضل حي في ذاكرة الناس لحد دلوقتي..

في مرَّة من المرات وهما بيعرضوا «أنا وهو وهي». خرج عن النَّص مرَّة واحدة وبص لشويكار وقال :

- «تتجوزيني يا بسكويتة؟»

واتجوزوا فعلًا.. ولما اتسأل فؤاد المهندس عن خروجه عن النص في مسرحياته قال فؤاد المهندس:

- أنا ملتزم بالنص في المسرح ولم أخرج عنه ولا مرَّة .

ردت المذيعة وقالتله: ولما عرضت الزواج على شويكار في «أنا وهو وهي» رد عليها وقالها

- ده قلب النص.

***

لأن الصدفة أحيانا.. بتبقى بألف ألف معاد.

جملة سمعتها في أغنية لمحمد محسن.. كلمات مصطفى إبراهيم.. الأغنية نزلت لأول مرَّة في مسلسل «زَي الورد».. أنا سمعتها لأني كنت متابع محسن ومصطفى.. والديوان العظيم اللي كانوا عاملينه في ألبوم «اللف في شوارعك».. وانا أصلا من المغرمين بشعر مصطفى ابراهيم في سمعت الأغنية وحبيتها.. بس ما اتعلقتش بيها.. حالة حلوة من برة برة كده.. لكن كنت لسه مادخلتهاش .

لحد ما في يوم كنت بمر بظروف نفسية سيئه جدًا.. لدرجة إني سبت البيت ونقلت إقامتي إسكندرية.

في الفترة دي ماكنتش بشوف الشارع نهائي.. كان فيه ناس بتيجي تسهر معايا.. يا إما أصحابي.. يا إما أصحاب أصحابي.

كانت بداية معرفتي بصديق عزيز علي حاليًا.. اسمه «نور إبراهيم».. نور أول مرّة شافني في الشارع.. كانت بعد ٤ شهور من بعد ما إتعرفنا وبقينا صحاب.. لدرجة انه قالى بدهشة:

- إيه ده أنت بتنزل الشارع زينا؟!!

في المرحلة دي كان عدى زمن بسيط على نهاية تجربة حقيقية سيئة انتهت بفشل واضح.. وأول مرّة تجربة تسببلى صدمة.. كنت مستغرب نفسي وانا زعلان بالكم ده.. ومستغربني جدًا لإني مش ده..

ماكنتش من النوعية اللي العلاقات ينفع تأثر عليها بشكل سلبي مهما كانت أبعاد العلاقة وتطوراتها وأشكال بدايتها أو نهايتها.

أي تطور من أي نوع في العلاقة كان بالنسبالي مؤشر إيجابي.. حتى لو كان التغير والتطور ده هو نهاية علاقة.. ده بالنسبة لي حاجة سليمة وصحية جدًا لإني ضد مبدأ استنزاف الإنسان نفسه واللي حواليه في علاقات مبتورة ومحكوم عليها بالفشل في النهاية.

يعني أقدر أقول ببساطة عمر الحب ما عمل مشكلة.. ولا أثر على نفسيتي.. لكني فعلاً وقتها كنت حزين.. واليوم أقدر أقول إنه كان يوم عادي.. عادي جدًّا.. أو أنا كنت فاكر كده

كان عندي حفلة في كلية آداب طنطا.. كنت بفكر أعتذر وما اروحش خالص.. وغالباً كنت هعمل كده.. فاكر الحوار اللي دار بيني وبين «هادر حسام».. صاحبي اللي كان عايش معايا وقتها في اسكندرية.. قال لي

- مش عايز تروح ليه؟!

رديت عليه من غير ما أفكر

- مش عايز أشوف حد.

قال لي روح خلَّص مع الناس.. وارجع المحلة.. شوف أهلك وبات وتعالى تاني يوم..

إلى حدٍّ ما مكنتش مقتنع.. لحد ما لقيت نفسي نازل وكأن فيه حاجة بتشدني من إيدي... قوة ما أعرفش مصدرها ورغبة معاكسة في إني أروح.. ما أعرفش إيه تحديدًا اللي حصل غير إني لقيت نفسي قدام الناس.. شعري منكوش.. دقني طويلة.. مش نايم.. وواقف بنام على نفسي قدام الناس.. لحد ما بصيت كده.. لقيت بنت قاعدة بعيد.. وفضلت متنح !!.. مش عارف إيه اللي حصلي فعلًا. زَي ما يكون فلاش ضرب في عيني.. عماني عن كل حاجة تانية.. طبعًا دي «حفلة».. حوالينا ناس

كتير.. وأنا مش عايز الفرصة تضيع بصراحة.. ومش عارف لو رُحت أكلمها هقول لها إيه!!!.. والناس حوالينا اللي بيتصور واللي بيوقع.. وأنا عمال بقدم خطوة وأرجع خطوتين.. أول ما وقفت قدامها كانت مدياني ضهرها.. وأول ما لفت وبصت لي.. قُلت لها:

- إوعي تمشي!!

***

قبل خطوبة محمد محسن وهبة مجدي بأسبوع.. كنت بحضر عرض ألف ليلة وليلة.. كنت بشتغل وقتها مع محسن على الألبوم الجديد.. وكان لسه فيه كلام على أغنية فيلم الهرم الرابع.. روحت أنا وأسامة الهادى حضرنا.. وقعدنا مع محسن شوية.. وعزمنا على الخطوبة.. وكانت أول مرَّة أحضر عرض لـ د. يحيى الفخرانى.. وكانت أمنية من أمنيات حياتي إني أشوفه على المسرح.

المسرح: أبو الفنون.. أصل الحواديت «البساط السحري» اللي بتقف عليه وتطير لعالم تانى.. عالم أنت اللي بترسم كل حاجة فيه.. واحد صاحبي قال لي إن المسرح بيقرّب القلوب.. بيعمل حالة كده.. تحس إن كل اللي شغالين في العرض «عيلة كبيرة».. حتى فؤاد المهندس لما طلب إيد شويكار.. كان على المسرح..

محمد محسن وهو بيحكي إزاي علاقته اتطورت بهبة مجدي بيقول إنه كان رايح المسرح بدري مرَّة.. لأن دكتور يحيى الفخراني متعود يروح المسرح بدري.. محسن بيقول:

- عمري ما روحت قبل د.يحيى.

وإنه كان بيروح يلاقيه قاعد فيتعلم منه أدّ ما يتعلم.. ويسمع منه قد ما يسمع.. لحد ما لقى هبة داخلة مع صاحبتها.. وكل واحدة معاها ورده حمرا.. بتديها لـ د. يحيى.. حصل نوع من الإحراج كده فدكتور يحيى أخد وردة وإداها لمحسن في محسن قال:

- أنا رفضت لأنها مش جايالي بشكل شخصي فقُلت لازم هي اللي تديهالي بنفسها (وكنت قاصد أعمل كدا) فراحت مدياني الوردة.

بعد العرض ياخد محسن الوردتين معاه البيت.. ويحطهم في ميه بـ سكر ويصورهم.. ويبعت الصوره لـ «هبة».. هبة بتقول تاني يوم.

- لقيت محمد جاي يديني مفتاح كده وبيقول لي على فكرة فيه حد جابلك بوكيه ورد وحطه في الدولاب اللي في قاعة كبار الزوار في روحت أنا داخلة واخدة المفتاح وأنا مش فاهمة.. بيقول لي أيوة فى حد جه اداني المفتاح قال لي فيه حاجة في الدولاب فقلت له (يعني مش أنت اللي جايبه؟!).. قال لي

لا لا مش أنا اللي جايبه طبعًا رُحت رايحه فاتحه الدولاب لقيت بوكيه ورد أبيض كتير وفيه وردة في النص حمرا.. وردة واحدة بس وكله أبيض.. فأنا متجننة وأسأل أستاذ يوسف إسماعيل مدير المسرح.. مين اللي جاب الورد حطه في الدولاب.. قال لا معرفش والله ففي الآخر بقى اعترف لي وقال لي أنا اللي جبته..

محسن بعد كده بيكمل كلام وبيقول:

- أنا جبتلها ورد بعدد كل الناس اللي شغالة في المسرح عشان لو حبت تدي حد وردة.. محدش تاني يحس بالإحراج في ماحبتش أحط حد غيري في الموقف ده.

***

بعد ما قلت للبنت في الحفلة «إوعي تمشي» ردت بكلمة واحدة وهي طبعًا مش فاهمة حاجة.. قالتلي «حاضر».

بعدها نزلت مع الفريق اللي كان منظم الحفلة.. لقيتهم كلهم موجودين وهي ماكانتش موجودة.. فضلت قاعد شوية يمكن تيجي.. شربت القهوة ولسه مجاتش.. اتكلمت كتير ولسه مجاتش.. شكلي بقى وحش وكان لازم أمشي.

قبل ما أتحرك ببص لقيتها واقفة برة مع واحدة صاحبتها.. جيت أطلع لقيت معيد من اللي في الكلية قال لي رايح فين.. قُلت له هروح أسلِّم على حد رفض تمامًا وقال لي « أبدًا والله يجيلك هو « ألحيت عليه إني أقوم لحد ما سابني.. رُحت زَي

المنوم مغناطيسيًا تاني.. ما كنتش عارف أتكلم ولا أقول أي حاجة.. خدت منها الورقة بتاعة الـ Team «3D».. وعرفت ان اسمها «آية».. وانى المفروض آجى تاني عشان أسجل حوار معاهم.. وغالبا هي اللي هتسجله.

لحد دلوقتي كانت معلومات مرضية جدًا بالنسبة لي في الوقت ده.. طرف خيط لحاجة ما اعرفش هتوديني على فين.. لكني زَيّ ما كنت فاكر ساعتها.. بتحرك دون إرادتي تمامًا لمصير ما.

رجعت ولقيت العيلة كلها متجمعة في بيت جدتي.. عديت عليهم.. أمى قابلتنى عـ السلم.. قالت لي:

- «وِشَّك منور».. خير؟!

قُلت لها «شُفت حتة بنت النهارده.. خطفتني خطف».. قالت لي تعرف عنها حاجة، قُلت لها ما أعرفش عنها أي حاجة غير إن اسمها «آية». قالت لي:

- طيب، ربنا يعترك فيها ويجعلها من نصيبك.

على طول كده!؟.. أمي دعت لي بيها.. قبل ما تشوفها حتى.. طلعت أنام لقيت رقم بيتصل.. قُلت يعني الدنيا مش زَيّ الأفلام أوي كده.. أكيد مش هي.. ماردتش.. واكتشفت بعدين إن الدنيا زَيّ الأفلام.. وبمعنى أدق.. الأفلام هي اللي زَيّ الدنيا.

أول ما رجعت البيت عملت search على الفريق.. لقيت صورة جماعية ليهم كلهم.. وكانت موجودة في وسطهم.. بس محدش عامل tag لأي حد.. قعدت أدوّر في التعليقات.. لحد ما لقيت بنت اسمها آية.. دخلت بعت لها رساله قُلت لها.. « هو انتي آية اللي كنتى بتغطي حفلة النهارده؟!» وأستنى ترد؟!.. ماردتش.. مسكت موبايلي وبفتح لقيت رسالة من الرقم اللي اتصل بيا ومردتش عليه.. لقيت واحدة بتقول لي «حضرتك».. وعايزين «نسجل حوار».. وكلام غريب كده.. قُلت لها كلمة واحدة بس:

تتجوزينى؟!؟!

ماكنتش فعلاً ساعتها أعرف عنها حاجة.. بس ربنا كان عارف.. وقلبي كمان كان عارف تقريبا كل حاجة.. كنت متأكد من أول مرَّة شفتها إنها هتبقى آخر محطة في حياتي.. وقد كان.. الحمد لله.

***

الفهرس


سَاحِرُ
الكُتُب

مطلوب حبيب

الأشياء التي تجعلنا نكبر يمكنها أن تجعلنا نصغر.. الأمر كله رهنٌ بحكمة التجربة.. الحُبُ الذي لا يكسرك يقويك، والألم الذي يهدّك يبنيك.. نحن مجموعة من التجارب نبتت في أرض أهلكها التخبُط.. كل ما علينا فعله أن ندّخِر لأوقات الوحدة بعضاً من الوَنَس، وللحظات الاكتئاب قليلاً من الأمل، ولحالات الحزن كل ما يمكننا من المثابرة.. ولكل الأيام الكثير من الإيمان.. ربما يمكننا النجاة بأنفسنا وبمن نحب.



أثناء قرائتي لكتاب (مطلوب حبيب) لم يفارقني إحساس "قعدة الدردشة الرايقة" مع صاحب ممتع في رحلة طويلة داخل قطار أوطائرة. والأمتع والألطف، مع انتهائي من الرحلة في سطور الكتاب الأخيرة، إني اكتشفت أدّ إيه الكتاب دا مراية لكل واحد فينا.

تامر حبيب



محمد إبراهيم

شاعر مصري من مواليد المحلة الكبرى.. صدر له ثلاثة دواوين شعر بالعامية المصرية وهم: "فلوماستر أبيض" عام 2014، "الحزن البعيد الهادي" عام 2015، "زي الأفلام" عام 2016 وحققت جميعها رواجاً كبيراً.

ويُعد هذا كتاب الاعترافات الأول بالنسبة له.



